أريدكِ أنثى

الكتاب: أريدك أنثى/ محمد بلال عبد الباقي

المؤلف: بلال، محمد

النوع: أدب ساخر

تصميم الغلاف: جيهان متولي

إخراج داخلي: بثينة عزام

الطبعة: الأولى/ القاهرة ٢٠١١

عدد الصفحات: ١٢٠ صفحة

المقاس: ١٤×٢٠

تدمك:

١- الحب في الأدب العربي

صرح للنشر والتوزيع

المدير العام: عبود مصطفى عبود

كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسين (أ) برج (٢) الدور العاشر.

ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(٢+)

البريد الإليكتروني: darsarh@gmail.com

الموقع الإليكتروني: www.dar-sarh.com

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٦٠٩٧

الترقيم الدولي: 978 – 977- 6382- 35-0

ديوي ٨١٠,٩٠٣٥

أريـدكِ أنثى

تأليف

محمد بلال





إهـــــداء

إلـــى

مـن علّمـت قلبـي الحـب و الألم.. إلى الأنثـى الوحيـدة بـين نـساء الكون، قد وعدتك أن أهـديك كتابًـا... اليـوم أوفي بوعـدي..لم أقتـنص الكلمات بعدك لأكتب كتابًا، بل احتلتني أنوثتك في بُعدك، وجرت على أصابعي لحنًا ونزلتِ أنت وحيًا مؤلمًا. أكتب باسم هوانـا الـذي خلـق... أكتب باسم هوانا الذي احترق.. فكتبت.

عن صاحب الكتاب الذي يحاول أن يكون كاتبًا: مشكلتي أني لا أصلح للعمل كراقصة، حاولت كثيرًا جدًّا في الواقع؛ ركّزت في كل حركات (روبي) و(هيفاء وهبي)، فلم أفلح في تقليدهم، حاولت تقليد (دينا) على أساس أنها تحمل دكتوراه، فلابد أن هناك منهجًا علميًّا ما في رقصها، ولكنني فشلت في فهم منهجها؛ ربما لأنه ككل المناهج المصرية مستحيل الفهم؛ رجعت لشرائط هرم مصر الرابع السيدة الراقية (فيفي عبده) ولكن وجدت أن وسطها لا يمكن أن يكون بشريًّا كوسطي، حتمًا هناك عضلات ما مختلفه كي تقوم بهذه الاهتزازات الرائعة المميِّزة، وبما أني لا ألعب(جيم) فلن أستطيع تنمية عضلات كافية كي يهتز وسطي بهذه الروعة!

حاولت الغناء، ولكن أصدقائي الذين لم يجدوا أي طماطم حولهم رموني بأعقاب السجائر، والعلبة كلها حينما حاولت تقليد (أم كلثوم)، فكّرت أن ألعب كرة القدم، ولكن وجدت أن (أبوتريكة) قد أخذ رقم(٢٢)، ورغم كل محاولات الأهلي في إقناعي أن ألعب لهم وأرتدي الرقم (٢١)، إلا أن كبريائي منعني أن آخذ رقمًا أقل من (أبوتريكة) حتى لوكان أمير (الكلوب)...



وعلى هذا رضيت أن أمارس مهنة العائلة (الهندسة)؛ لأن الكتابة كما يقول عنها أبي (لا تؤكل عيش)، وبعد صراع مريرٍ لِستِّ سنوات في كلية الهندسة (التي يفضل أساتذتها الراقصات عن الطلبة، على ما في ذلك من عنصريّة)، تمكّنت أن أصل للبكالوريوس، بل وأن أبدأ أول عمل خاص صغير لي؛ لأجد أن ثلاثة أرباع من يعملون معي في هذا المجال مثلي فشلوا في المهن الثلاثة المرموقة في مصرنا العظيمة (الرقص، والغناء، وكرة القدم)، ولكن الفارق بيني بينهم أنهم فشلوا في أن يكونوا مهندسين أيضًا، ولهذا يرى كل منهم أني (عيّل يَعْملُ على حِسّ أبوه) ويركب سيارة (جابتها له أمه)، لابد من ذكر الأم في موضوع السيارات هذا على أساس أنه -في عرف عامة المصريين- لا يمكن أن تكون مكتمل الذكورة لواشترت أمك سيارتك!

وجدت أني أتعامل مع هذا الحشد المعقد اللطيف من(الصنايعية)، وعليّ أنا -من لم يشتر كيلو أي شيء في حياته- أن أكون سافلًا جدًّا، وأجيد كل أنواع السباب -أفادني الشعر في اختراع بعض السبات المبتكره- حتى يعملوا تحت إمرتي دون أن يكسروا عيني، ولأني لا أستطيع اللجوء لأبي في أمر مثل هذا، كي لا يأتي بذكر أمي أيضًا، وربما جدودي، وكي يشعر أنه رَبَّى ابنًا يُعتَمَدُ عليه، فقد دخلت معركة إثبات

الـذات هـذه -العمـل في الهندسـة لا علاقـة لـه تقريبـا بمعلوماتـك الهندسية- بكـل عنف، لأجد أني في النهايـة أتحـوّل تـدريجيًّا إلى كـل مـا أكره، واحد آخر من الذين يمتطون العبيد على رأي أمل دنقل، وامتطاء العبيـد هنـا لـيس للمتعـة كامتطـاء الخيـول في الهـرم، بـل لأن الـشعب المصري في معظمه يتسم فعلًا بأخلاق العبيـد، فأنـت متـى كنـت محترمًـا تتعامل بلا طبقية اقتنع الجميع أنك لست متمرّسًا، ولا مُحنّكا بما يكفـي، وأنـت ولا مؤاخـذه (فرفـور)، واسـتخدموا كـل مهـاراتهم المـصريّة - الموروثـة، والمكتسبة منهـا- في محـاولات (الفهلـوة)، والنـصب عليـك، وتخطّـي أوامـرك، وحـدود اللياقـة، والـذوق معـك، أمـا لوكنـت شـتّاما صارمًا تعاملهم بتعالٍ خفيف ممزوج بـالمرح الطبقـي الراقـي مـن طـراز: (مش قادر تخلـص دي النهـاردة؟ أجيـب لـك فيـاجرا يـا روح أمـك؟)، فمعنى ذلك أنك -على رأي العامة أيضًـا- قـد رضـعت مـن ثـدي أمـك حقًّا، وأنك مهندس متمرّس ابن بلد، وتتحول حينهـا مـن (شـغّال عـلى حـس أبـوه)، إلى (للابـن نـصف صـنعة أبـوه، ولـو لم يـره)، وتتحـول تعبيرات مثل (سيارة جايبهاله أمه)، إلى (ابن ناس مأصّل)...

ولأني على الرغم من كل قراءاتي التي أزعـم أنهـا كثـيرة -نـسبة إلى جيل أشباه تامر حسني- لم أستطع فهـم فلسفة هـذا الـشعب العجيـب



الذي أنتمي إليه، فقد اقتنعت بحكمة الأخ (عادل إمام) التي لخّص بها الشعب المصري في أحد أفلامة: شعب تجمعه راقصة، وتفرقه عصا!، وقررت أن أكون مهندسًا بما يرضي طموحات كل (الصنايعية) في الإهانة، والسفالة، ونجحت في ذلك بالامتياز الذي لم أقربه أبدًا في الكلّيّة!

أنا... سافل للأسف، يخنقني ذلك للأسف أيضًا، لا لأنهم لا يستحقّون السفالة، ولكن لأني على وَشْكِ الإصابة بانفصام الشخصيّة! في النهار أكون هذا الكائن الذي يمتطي العبيد كوظيفة، وفي الليل أمتطي الخيال، وأقرأ الأدب لأفرز محاولات في الكتابة، التي يفترض أن تكون رومانسية على قدر رومانسيتي التي أكرهها بعنف!

وبعد ليال طويلة من الأرق، وأطنان من القهوة السادة أشربها على مُثُلِي العُليا، ومبادئي في الحياة التي أفقدها بالتدريج، قررت كتابة مقال في الليل يتّفق مع ما أعمله في النهار، ولهذا فأنا أرجو أن تعذروا أي ألفاظ بها شيء من السفالة في هذا المقال... لم أكتبها، وإنما كتبها الكائن الشرير الذي يمتطي العبيد!

قبل أن تقرأ كلماتي، وتتخيل أنني من المتفائلين الأغبياء، إليك رأيي في مجتمع الحمقى الذي أنتمي إليه، والذي شوّه كل مبادئي،

وأفكاري.. وعذّب كل قصائدي، وأشعاري، وأنا أحيا ممزّقًا بين محاولاتي المستميته لإدراك الحب، وفهمه، وكتابته، وتشربه في هذا المجتمع، كتبت هذا المقال فقط لا لأبرر بحثي المستميت عن الحب فيما سَيَلي من قطع، بل لأفصل -دومًا- بين الحب وباقي القضايا؛ لأن الحب هوالقضية الوحيدة التي لا أسمح لتلوث المجتمع أن يدنّسها بقلبي؛ ينتهي الفيلم الأميركي الرومانسي على لقطة شهيرة مكررة، يقاطع حبيب العروسة -التي تركَتْهُ لخلاف ما في سياق الفيلم لتتزوج آخر- الزفاف ويلقي خطبة عاطفية جميلة عن حبهما، وعنها، وكيف أنها امرأة لا تتكرر، وأنه رجل امرأة واحدة، تدمع عيون الحاضرين تأثّرًا ويُقبِّل الفتى حبيبته، وينتهي الفيلم، والجميع -بما فيهم أنا- سعداء بانتصار الحب!

لا يفكر أحد -ولو للحظة- بهذا الذي ترك على المذبح (مكان الزواج في الكنيسة) وحيدًا بائسًا مهملًا، وقد ألقته خطيبته كعقب سيجارة منتهية لتقبّل آخرًا أمامه! لا يُفكِّر أحد بهذا الرجل لأنه لا يكون أبدًا بنفس وسامة بطل الفيلم، ولأننا جميعًا أنانيون نفضِّل أن تتحقق أحلامُنا العاطفيّة ولو على حساب آخرين، ولو جرحناهم جرحًا لا يُنسى..



يرى الشاب المقبل على الزواج ألف عروسة، ويرفضهن لأنهن لا يتّسِقن وذوقه في الجمال، ولا يفكر لحظة فيما تشعر الفتاة التي تم عرضها كبضاعة، ورفضها كبضاعة فاسدة! وهذا أيضًا لأننا أنانيون نُفضِّل أن نحضر زفافًا جميلًا لنحقد على العريس، ولوكان ذلك على حساب ألف فتاة جرحت جرحًا لا يلتئم.. المشكلة ليست أننا أنانيون، المشكلة أننا نضع أنانيتنا في نطاق العاطفية المفرطة النبيلة، فنصفّق لمن خانت زوجها على مذبح الزواج باعتبارها انتصرت للحب، ونصفِّق للفتى الذي يجرح ألف فتاة باعتباره رومانسي شفّاف يبحث عن الفتاة المستحيلة.. إننا أنانيون، والأسوأ أننا منافقون، نحب أن نكذب على أنفسنا وهذا أسوأ أنواع الكذب..

القيم النبيلة شيء مطاط جدًّا، فكم من رجل عجوز انهال ضربًا على صبي، وصبية يتعانقان على أساس أنه يقتص للفضيلة، وهو في الواقع يقتص لشعورة بالنقص، وشهوته المحرمة للفتاة الصغيرة، وكم من رجل عجوز يبتسم في وقار عند مروره بفتي وفتاه يتعانقان على أساس أنه الحكيم الطيب الذي يفهم الحب، وما هو إلا جبان يخاف أن يتدخل فينال ما لا يُرضيه من إهانة، أويكون الفتى ابن شخص ما مهم!

ماذا يحكم أفعالنا؟ هل هي المبادئ حقًا؟وما هي مبادئنا؟ أهي الدين؟ أم العُرف؟ أم مزيج مشوه من كليهما نتمسك به حينما يناسبنا ذلك، ونتهرب منه حين لا يناسبنا؟

وما هو هذا (العرف)، ومن وضعه؟ المفترض أنه ما دأب الناس على عمله، أو قوله في مواقف ما منذ زمن، ويفترض بنا أن نؤمن بأن كل من سبقونا لم يكونوا حمقى فيما فعلوا، وكانوا أكثر منا حكمة..

إنه السخف، والملل بعينه أن تكون عربيًّا في هذا العصر؛ كل شيء مفتعل، مزيّف، بداية من الدين، وانتهاءً بالجنس، وإعلانات المقوّيات الجنسية!

يتلخّص لي السُّخف حين أرى إعلان شامبو، أومعجون أسنان: «لو استخدمت معجون كذا ستحبك كل الفتيات، وترتقي في عملك، وتبني قصورًا، وتهدّ جبال... يا سلام!»

لو كان من صمم هذا الإعلان يصدّق أنه يروّج لأي شيء غير غبائه بالإعلان؛ فمعنى ذلك أنه أحمق، وأنه يعتبر كل المشاهدين مجموعة من المتخلفين عقليًّا، ولوكان مصمم هذا الإعلان مقتنعًا بأنه يصنع الهراء؛ فمعنى ذلك أنه شخص منافق، وغبي أيضًا، ويرانا -نحن المشاهدين- آخر من يحق لهم أن يعجبهم ما يشاهدوا !

أما -نحن المشاهدين- من نبتاع المقوّيات الجنسية، والشامبو بعد كل ذلك، فإننا أنانيون، لم نبالِ بحق الأجيال القادمة في آباء حاولوا أن يفعلوا شيئًا ليجعلوا الحياة أفضل لأبنائهم، ولذا فإننا نستحق هذه الإعلانات..!

نحن أنانيون، مقتنعون --دومًا- أننا مظلومون، ودومًا أجبن من أن ندفع هذا الظلم عنا، أذكر صديقًا لي كان يتحدث دومًا عن سخافة، وتكبُّر رئيسه في العمل، ثم رأيته يداعب أحد مرؤسيه من العمال بأن يضربه، ويهينه على أساس أن هذا شيء مرح جدًّا، والعامل لا يشكو بل يتظاهر بمنتهى الجرأة في النفاق أنه مستمتع بهذه الإهانة!

ولأننا أنانيون نشكو دومًا من العنصريّة، ونحن عنصريون جدًّا، راقب أي (بك) من سكان العمارة يُداعِبُ ابنة البوّاب، راقب كمّ التعالي، والألاطة كأن لسان حاله يقول: يا لك من مخلوقة طريفة مُسلِّية، كنت أحسب أن البوّاب لا يُنجِبُ إلا قردة!

كلّنا نشكو من معاملة الغُرباء لنا في الخارج؛ لاختلاف لوننا، وكلنا أيضًا قد نرفض أن نزوّج بناتنا لرجل لمجرد أنه أسود، وكلنا أيضًا لا يستطيع أن يتعامل مع السود براحة كما يتعامل مع بني لونه، لابد من شكّ خافت متستر في نظافتهم، كأن اللون له علاقة بأي شيء شخصي..

انظروا كيف يتكلّم العرب عن بعض.. كيف يصف السعوديون، والخليجيون المصريين بأنهم عبيد لا يملكون إلا الفهلوة، ويصف المصريون الخليجيون بأنهم بدو شواذ جنسيًّا، وجدوا البترول فصاروا أغنياء.... وبعد ذلك يشتكي كل منهما أنه مظلوم في الداخل من مرؤسه أو في الخارج بسبب لونه، أو جنسه!

نحن أنانيون؛ لذا فنحن نرى دومًا ما يفعله الآخرون بنا، ولا نرى ما نفعله بهم، نريد أحلامنا، ولو سنحطّم أحلام الآخرين لننالها، ونضحك على أنفسنا دومًا؛ لأننا نحب أن نصدِّق أننا آخر الرجال المحترمين في هذا العالم.. إلى كل الرجال المحترمين.. كل عام وأنتم بخير، أنا فقط المحترم لأني آخر الرجال المحترمين في العالم!

والآن دعني أكتب عن الحب، هذه الكتابة، هي مزيج من آرائي، وتجاربي، وخيالي، قد تتصادم هذه المحاور الثلاثة، وتتعارض في بعض المواقف، ولكن الثابت أن كل حرف هنا سكبته من رُوحِي...

اعشقني

املكني

احرقني بهواك

حتى أتبخر!

فتلملم أجزائي بيديك

وتعشقني أكثر!

بذراعيك احملني!

لأطير كطفلة بهواك

فيدغدغ إحساسي إحساس

بأني ..امرأة...لا أكثر!

اقتلني غزلًا

اقتلني خجلًا

اصبغ وجناتي باللون الأحمر

مهما كنت أتذمر

مهما اضطرب الحرف

بفمي وتعثَّر

مهما أَحتَجُّ..فلا تتأثر

أتظن أني أخبرك

أني من غزلك أسكر.؟.

تلك أشياء....

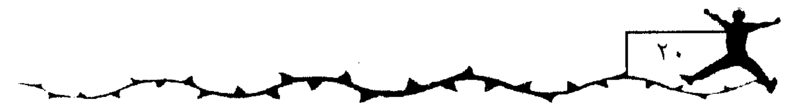
لا تذكر!

فأنا -مهما أنضج-

امرأة.... لا أكثر

كان فاضل بس يادوب ١

كل ما فيها يستفز رجولتي.. ضعفها -الذي تجاهد لإخفائه- يستفزني أن أعتني بها، أحارب العالم من أجلها.. أجمع أنواع المستحيل لأقدمه باقة تحت أقدامها... عنادها الطفولي ما هو إلا رغبة تخفيها حتى عن نفسها في أن أحاورها، وأقنعها، وأتغلب على كل جدلها الفلسفي؛ لتستشعر تفوقي العقلي عليها... كبرياؤها يستفزني أن أرضيه بل أبهره كل يوم بألوان من غزل لم يعرفها بشر.. أدمنت تحطيم حواجزها الأنثوية.. أدمنت اجتياحها حتى تسقط بكامل إرادتها بين ذراعي تسلم نفسها... ولكنها غير كل النساء، فهي لا تكتفي أن أملكها مرة لأملكها دائمًا، بل تريدني أن أطوف حولها أغزل شباكًا جديدة، كل ليلة كمن يجدد دينه بطواف الحج.. وأنا... اللعنة عليّ وعلى جنوني.. كالمقامر الذي لا يتعلّم.. لا يستطيع التوقّف أبدًا، فلربما كان الفوز في المرة التي يتوقّف بها.. يراهن بكل ما يملك، ويخسر، يلعن الحظ واللعبة، ولا يلبث أن يعاود الرهان... وهكذا كل امرأة أحبها أقامر بقلبي... لعلّها تكون غايتي.. هذه المرة رهان وحشيٌّ حقًا اكتمال أنوثتها يستنفد كل



طاقاتي، وخبراتي .. ينهكني بشدة، ولكني أستمر.. أحصل عليها كل يوم في هدنة ليلية، ثم لا تلبث أن تُنْهِيَ السلم في الصباح، وتعود لحصنها، وعليَّ المخاطرة بحياتي من جديد.

ربما سئمت التفوق المستمر، والفوز السهل، ويشدني إليها أنها أول ندٍّ لي... أقاوم بشدة .. أعشقها حتى النخاع، كلما قاومتْ أعشقها... هي تمتصّني باحتياجها الجارف الذي لا يخجلها.... تستوعب جنوني بجنونها.. ونتقابل معًا في مستويات خيالية من الشغف.. ثم نتبادل أنخاب غزل رقيق صريح جدًّا..

تعلمت أن أُقَبِّلَ المرأة لأرى قلبها... لكن شفتيها تذوبان في شفتيَّ برِقَّة، ثم تدخل هي إلى وجداني تبعثرني بأنوثتها الجارفة... وللمرّة الأولى أغمض عيني في قبلة، فلا أرى غير نجومًا، وسماءً وردية... أستسلم لحبِّها... أعلن أنها الحياة.. أتقرب إليها بغزل يشبه الصلاة.. أعشقها في خشوع مرتجف ثائر يفتت دلالها... أنْحَتُ على شفتيها محرابًا أتعبّد فيه الأبدية.. أضمّها حتى أجلسها عرشها في صدري... هي الطموح.. السعادة في عينيها... قوتي في انكسارها تحتى.. وضياعها بين شفتي... أسأل المستحيل أن يتحدى أكثر... فلم أعد أخشى أي شيء

أريدك أنثى..

تثور على ذراعي كغانية..

وتُنسِيني غربة السنين

أظافرها... تقتص من حنيني

تمزّق ظهري لتشعر بالأمان

وتحتويني

وتحتاجني جدًّا

كطفلة يتيمة..

وتجتاحني جدًّا

كلعنة قديمة..

وتحملني ببشرتها..

كأني حمرة الخجل

وتختبئ بي كأني خزنة سرية..

إذا خافت غضبتي

وتحملني على صدرها..

إذا جاءت سيرتي...

كما تحمل الأنثى قلادة ثمينة..

كان فاضل بس يادوب ٢

ضحكتها.. تستطيع أن تحكم بها العالم.. تقسم ضحكتها الموجوداتِ قسمين: قسم مذكّر يعبدها، وقسم مؤنث يكرهها؛ لأنها استأثرت بالأنوثة لنفسها في تلك الضحكة، وتركتِ الكونَ -حين تضحك- عاطلًا عن الأنوثة... ضحكة لا أتوقف عندها؛ لأنني لا أتجاوزها فأنا أحيا فيها.. تحيطني بشراشفَ وردية، ورقصات غامضة سحريّة قديمة.. عالم كامل من أنوثة عتيقة، لم تفجر بعد، يمتد إلى ما قبل التاريخ، يحمل في طيّاته كليوباترا، ويمر بجواري الرشيد ليشهد بملل الموناليزا، وابتسامتها التي لا تسمن، ولا تغني عن أنوثة...

صوتها هو ممارسة هذه الأنوثة ببساطة مستفزه، وإعجاز كامل: العفاف الذي يحمي سخونة جسد تشب به العاطفة، وتحمله إلى أعلى ذروات الرومانسية، ثم تتركه مكسور الجنون، لا يملك أن يعود أرضه ولا أن يحلم بأكثر من قبلة!

شفتاها درب من الانتحار... أن تقبّل شفاه تعرف أنها مدخل إلى جسد ناري خامل، لم ولن يستسلم... شفاه تحمل ثقافة في الحب هي

خليط من فطرة رائعة، وعنفوان طبيعي، وتجارب أدبيّة، وخياليّة.. أن تقبّل مثل هذه الشفاه تحتاج إلى رجولة واثقة لتطفئ تمرّدها الرقيق، وشبقها الطاهر!، شفاه -وإن لم أُقَبِّلْهَا- أعرف أنها ملساء كأنها أعدت لهذا اليوم، وربما حين يأتي سيكون لشفتيها كيانها الخاص المولع أيضًا بالتفاصيل الصغيرة للقبلة، فإما تكون فنًّا كالصلاة، وإما -إن لم يكن في عفويتها، وهمجيتها ما يكفي من الدقة- تكون كفرًا، وإلحادًا بمبادئ هذا الكيان!

كتبت فيك قبلًا نثرًا، وشعرًا، ولما جاء يوم أحببت شيئًا كتبت.. قلت أني لم أَصِفْكِ بما يكفي، ربما لأني أعلم أني سأحترق بوصفك، وتتوه مني أفكاري كما أنا الآن؛ فأعجز أن أكمل وصفك... تضيع مني أفكاري، فها أنا الآن فكرت فيكِ حتى لم أعد أعرف بماذا عنك بالضبط.

أنا أفكر الآن...تعلمين أنك احتلال، وأن الاحتلال يجعل الأماكن كلَّها مِلكًا لكيان واحد، فكيف أنا حين أذكرك فتحتليني أفكر فيكي دون أن أتوه؟ حبك احتل الأفكار كلَّها، فكل الأفكار تشابهت.. تذهب بي إليك لأتوه في كلماتي، وكلماتك.. فما أصعب أن يحتلنا الحب

بغتة! كيف أحول ذراتي التي تدور حولك كما الإلكترونات، والنواة إلى عقل يفكّر، ولسان ينطق؟ كيف... حين يختلّ نظام الكون.. فحتى الإلكترونات في وجودك تذوب فيكِ، وتدعي العشوائية لتلائم عشوائية دقات قلبي، وفوضى الجنون المتخم بالمنطق؟

لا تسأليني أن أصفك...آسف

لا تقتربي.. إني حذَّرتك!

فجمالك يرجف أوصالي

ولئن قبلتك أذنبت

وخلطت حرامي بحلالي

إني حذَّرتك فاحترسي

لن أقدر أضبط أفعالي

فضميري لن يعرف رحمة

في حضرة عطر وجمال!

فاحتملي ظلمًا لو شئت

فاحتملي حرارة أهوالي!



كان فاضل بس يادوب ٢

أُثبِّتُ عيني على قدح القهوه كي لا تطارد يداها باحثة عن دفء لمسة صغيرة يسري بها جنون حنيني إلى وجنتيها؛ فيخضبها بالحمرة الجميلة، حينها -حتمًا- كنت سأفقد التركيز، ولا أستطيع أن أجاري ذكاء أسئلتها، وحيويتها، وحيوية اللحظة التاريخية (أول لقاء رسمي لنا)

كل شيء في يديها يطارد شوقي، ويغويه: بيضاء، نضرة، صغيرة..، ناعمة -من عناية أنثوية واضحة-.... يدان كأنما خلقتا لمناجاة العشق، والهوى فقط، تؤكّدان دلالهما بثباتهما المستكين الذي ينافي توتّرها في تناقض جذاب، شَعْرها لا تَمَسُّه أبدًا بل تشير إليه في ترفُّع مثير، وتترك له الحرِّيَّة أن يتبعها، أو يعصي مستسلمًا على كتفيها، ولا يعصي أبدًا! والآن أعرف لماذا هي لا تصافح الرجال.!

الحياد معها مستحيل.. لا أستطيع ألا أشعر سحرًا في أي شيء تفعل، وكل ما تفعل، فإن أنا أصبحت على حياد مع يديها، كيف أهرب من شفتيها، وعينيها، وهما ملكي منذ قديم الشِّعْر من اللحظة الأولى بعد ميلاد الحب؟



أنا لا أراكي كما تبدين... بل كما تريدين، وكما يريد الهوى... هل تعرفين كم أنت جميلة صغيرتي حين تهربين بعينيك من التصادم بنظراتي؟ أجمل مما يمكنني التخيل، تمسّين قلبي بجاذبية مختلفة كل لحظة..

•

حين تتحدثين بحماس..... دومًا أنا جاد جدًّا في إنصاتي.. لكني أفضّل لو نتناقش، وأنتِ بحضني، وأنهي كل مخاوفك الأنثوية بقبلاتي، وحين تصمتين، وأريد أن أمدَّ يَدَيَّ لأعبثَ بشعرك المتمرّد لأصالحه على جسدك في لمسة واحدة تقتلنا معًا...

لا تسأليني... هل نسيت؟

أم مازلت تعالج الصبر؟

هل كنت هوى بالعمر؟

أم كنت هوى العمر؟

هل تذكر التاريخ لميلادي؟

أم كان تاريخًا ومر؟

هل تذكر أشياءنا الحلوة

كم كانت أشياؤنا كثر!

لا تسأليني... ما كان هواكِ

بجواب في بيت شعر

بل كان عصرًا من عصوري

ورحيلك الشتوي عصر..

لا تبحثي... عن عذر كي أغفر...

قد اختلقت لكل يوم عذر!

لا تبحثي عن عذر كي أنسي

فالغفران أمر، والنسيان أمر!

كان فاضل بس يادوب ٤

عيناها كذّابتان؛ تخفيان بريقَ شقاوة، ودلعًا برقابة صارمة، وتدَّعيان الحزم، والجد، وأجمل ما بكذبهما يجعلك تراقب عينيها طوال الوقت بشغف لتلمح بريق الشقاوة الخاطف الذي يظهر من حين لآخر حين تتوقفان عن الكذب المهذّب!

عيناها خجولتان؛ لا تستطيع أن تنظر إليك مباشرة إلا لو هي أرادت أن تبدو كأنها تعني ما تقول، أو أرادتك أن تعرف أنها تعني أكثر مما تقول!

عيناها حزينتان؛ ربما من يأس خيالي من أحلام خيالية، أو من سأم البحث عن المستحيل... أو من التعب بمحاولة إقناع نفسها أن المستحيل لا ينتظر، حزينة هي حزنُ الحالمين الباحثين عن نهايات سعيدة في عصر سِمَتُهُ الرعب لا الواقعية، لكن حزنها يختلف؛ فهو حزن متكبّر عابث لا تخبرك به أبدًا، بل تسخر من حزنك المشابه له، كأنها تنفي عن قلبها تهمة التواطؤ مع قلبك في دوّامات رومانسية مرهقة، ومراهقة!



لكن لو كنت السيدَ حقًا، وكنت محظوظًا، وذكيًّا بما يكفي... ربما ستعرف لحظة الحزن المناسبة لتضمها فيها -دون أن تصفعك- وحينها ستسلم بحضنك.. تنام كطفلة، وتكون لك.

عيناها مكسورتان، مغرورتان؛ فالغرور يكسر المرأة حين تتعب في بحثها عمن يرضي هذا الغرور.

عيناها.. أحببت عيناها حقًّا، والطريقة التي ترمش بها حين تَرتَبِكُ، وعشقت نظرة التمرّد بهما، حين تدعوك لإخضاعها.. عشقتها.. ليس عشقي لها هو الأعنف لكنه الأقوى، والأنضج، وإن كُتِبَ له أن يكون قصة؛ فستكون الأعظم، أعرف بتأكيد أن حبها ليس أحد فتوحاتي العاطفية، ولا نزواتي الغربيّة، وليس عن حبِّ الحب، فلم أخطط لكي لا أحب امرأة، وأصمِّم كما صممت ألا أحبها، ولكن حبي لها هو عاصمتي المنشودة التي طفت بلاد الله حبًّا، وحزنًا، وهجرًا، وقُبلًا، يأسًا وأملًا، رقة وقسوة.. بحثًا عنها لكي أقيم بها مدى الحياة، وأبني حولها مملكتي.

حقًا، هي امرأة تُبْنَى بها عواصمُ، وتعلو رجلُها عرشَ البشرية، وتُقَامُ حولها الممالك والجيوش، ومن أجلها تُشَدُّ الرحالُ، وتُشَنُّ



الحروبُ، وتُجْلَبُ الغنائمُ كي ترضي فترضي رجلًا مثلي.. فشلت نساء العالم في إسعاده أطول من نشوة لحظية.

هي أسطورة.. والأساطير إمّا ننساها، ونقلع عنها، وإمّا ندمن مستحيلها، ونقامر في سبيل هذا المستحيل بحياتنا كلها.

الموت عند قدميها يبدو خاطرًا مراهقًا لذيذًا جدًّا، وبه خلاصٌ من أزمة ثقة عشقيَّة، تطرح أسئلة لا تنتهي حتى لتبدو في جنونها، ويأسها، ورسوخها كأزمة منتصف العمر العشقي، وفي هذا كثير من السخرية الحياتية المعتادة من بؤسِنا، وأحزاننا الصغيرة، أن يكون حل أزمة كبرى -ولو نظريا- خاطرًا طفوليًّا قديمًا، ونزوة صغيرة جميلة..، أمّا الموت بحضنها فيبدو أجمل التصوُّرات الخيالية المستحيلة، أكثر من استحالة الحصول عليها نفسها، فاستحالته لا علاقة لها بمنطق، أو واقع معيّن. وإنها استكثار لهذا الكمّ من السعادة، أي أنني لا أتخيّل أن يكون الحب بمثل هذا الكرم، ولا الأيام بمثل هذا التساهل، خاصة مع ماضيَّ القاتم مع كليهما.

البحث عنها هواية يومية شديدة الملل، والبؤس، واليأس، يمتزج فيها الأمل المتشبِّثُ لا بأنصاف الفرص والاحتمالات، بل بأنصاف



الخيالات والعجز الغاضب عن تركها، والمُضي قُدُمًا، والشوق المجنون لها، والانتظار المسيطر القهري كوسواس هواية إن لم تنهها بعودة ستنتهي بالقتل اللذيذ القاسي لأحدنا على يديَّ، ويد الحب الآثمة!

سأحبك دومًا يا صغيرة

وسأبقى لبعادك أؤثر

فلأنك من طين نبويٍّ

من مِسْكٍ من حبٍ من عنبر

وذنوبي أكبر من حملك

ففِرَاقُكِ من ذنبي.. يثأر

ما كنت لأريد الشمس

ولنفسي بدفئك أستأثر

من فرط هواكي بعروقي

أتنفس (أنت) ولا أزفر

أفضيك في صدري نارًا

والنار حرام أن تؤسر

وتهاوت أضلاعي على عرشك

ولتسجد راحت تتكسَّر

وقهرت الأوجاع من أجلك

وبدونكِ كانت لا تقهر

وضممتك كي أفنى فيك

وأصلي لله وأتشكَّر

ما أنذرني قدري.. حطمني

والقدر ما كان لينذر

وتَبَدَّى ضعفي في حبك

وتقطع ورد قد أزهر

يا قلبي من أين أتيت؟

بمساحة جرح كي تفطر؟

أو يبقى في ساحة حرب

شهداء، والساحة لا تذكر؟

وداعًا ذاتَ الرداءِ الورديِّ

يُقَالُ إن الانتظار يُطِيلُ الإحساس بالوقت، إلا أني لم أَمَلَّ انتظارها يومًا، لحظات انتظارها المحمّلة بلهفة لقاء دائمًا مسروق من واقع الحزن، والمحملة بقليل من الأمل مسروق من واقع اليأس، هذه اللحظات هي ثاني أجمل لحظات عمري، والأولى هي التي أراها فيها، أنتظر بنفس المكان الذي شهد أحلام حبنا، بدايتها وموتها، كالمعتاد أراها في كل البنات؛ فيخفق قلبي بجنون، وتُشَدُّ حواسِّي كلُّها باتجاه فتاة ترتدي حجابًا كحجابها، أو لها سِمَتُهَا، أو قوامها ثم أعود -حين أجدها ليست هي- بنصف خيبة لا خيبة كاملة؛ لأني أعرف أنها لا تخلف لي موعدًا أبدًا.

أراها قادمة من بعيد، هي تمشي كأنما المشي في الشارع فعل فاضح يستحق التستُّر.. مرتبكة خجولة، كأنما هي فتاة بالثانوية من زمن الأربعينيات، تطلع على الرصيف، وتنزل بلا سبب، يبدو للرائي كأنها تبحث عن شيء في الأرض، وهناك من يطاردها.. وحتى لو تغَيَّرَ الشارعُ بجوارها لِنهر النيل لَـمَا لاحظتْ! تتعثر قليلًا كل عشر خطوات،

ربما لأنها أصلًا لم تُعدّ للمشي، بل لكي تُحمل في هودج كالأميرات، ورغم ذلك فحينما تستقر خطواتها قليلًا؛ يبدو جسدها وكأنَّه يرفع راية العصيان على ثيابها المحتشمة، وينظِّمُ ثوراتٍ صغيرةً تحت حكم الأنوثة المتمرِّد تهتف بالحرية لجماله، كلما خَطَتْ في رِقَّة، وخفَّة فكأنما مِشْيَتُها على الصراط الفاصل بين الدلال، والاحتشام، والآن أكتشف أني حين أحببتها أحببت كل لمحة منها بشكل منفرد، ففي كل شيء بها شيء من العروبة، شيء من مصر، شيء من روايات نجيب محفوظ، وشعر نزار، وشاطيء الإسكندرية، وجو الحسين، شيء من كليوباترا، وحتشبسوت، وكل غواني التاريخ اللائي استغنوا بجمالهن عن كل شيء آخر، وكأني بِحُبِّهَا أحببت وطنًا، وبلادًا، ووجدت فيها كل نساء التاريخ، واستعضت عنها بكل نساء الحاضر!

ألاحظ -عندما اقتربت- أنها ترتدي الثوب الوردي الذي تعلم أني أفضِّلُه عليها، أسألها بسخرية حانية إن لم تجد غيره ترتديه؟ فتجيب في مزيج من الهزل، والدلال، والحزن أن نعم، أستعيد تعبيرات وجهها، وأحاول أن أثير فيها كل المشاعر الممكنة، فأجعلها تتأمل، وتضحك، وتبكي، وتقطب، وتخجل، وتبتسم، وتعشق؛ كي أختزن كل هذه

التعبيرات التي عشقتها بمخيِّلتي ذخيرة إضافية لذكرياتنا التي أجمعها كهاوي تحف، غالبًا هو اللقاء الأخير لي مع ذاتِ الرداء الوردي، لكننا لا نملك ألَّا نغار، ونتعاتب، ونتغازل، كأنما مستقبلنا معًا يمتد حتى الموت، بل إن حزنَ الفِرَاقِ، وعتابَ أخطائنا حوّلناهما -بذكاء- إلى مادة للضحك، والرومانسية، ربما لأننا نعلم أننا لا نملك ترف العتاب، أو الحزن في لحظاتنا الثمينة القليلة، أسألها الحب، أوما يشبهه؛ فتجيب أن لم يعد من حقِّنا شيء من هذا، ثم لا تلبث أن تَضْعَفَ لنظراتي اللاتي تكاد تلتهمها تمام الالتهام، وتعطيني بعض ما يقيم أود حنيني من كلام، أو شبه كلام حب فأرضى بقليلي.

لهجتها -أيضًا- معي تقف على الصراط بين الدلال، والانكسار، تشعر أن بها حزنَ مدينةٍ سلَّمَتْ مفاتيحَها لغازٍ لا تُرِيدُهُ منعًا لسفك الدماء، إلا أنَّ أغادير المدينة، وطرقها، وحاراتها، وصحراءها، وكهوفها مازالت غامضة إلا لي، ولهذا تتأرجح لهجتها، فالجِدُّ يصبغها بانكسار الواقع، بينما الهَزْلُ، والغزل يعيدانِها لطبيعتها الرقيقة المرحة؛ فتتدلل بلا عَمْدٍ، وتعاند بلا عِنْدٍ، وتستميلُني بلا قَصْدٍ، وأنا أجاهد نفسي جهاد المسلمين الأوائل في أُحُدٍ؛ كي لا أحتضنها، أو أبكي حزنًا بحضنها، وما



زال الحوار يتّفق بيننا، نتناقش في كل شيء فلا نتَّفِق، ولا نختلف، بل ننتقل من موضوعٍ لآخر كما الفراشات تزور الورد، نمتصُّ رحيق الحبِّ من كل كلمة، ونخشع لكل ذكرى، ونبتسم ابتسامات حزينة لجمالية لقاء الوداع.

مازال الكلام بين المسموح، والممنوع، كما كان دائمًا؛ فكل حديث لنا له معنًى مُعلَنٌ، وآخر سريٌّ ندركه قلوبنا فقط، وكأنه موسيقى خافته مصاحبة لأحاديثنا من ألحان الهوى لا يدركها إلا نحن.

الوداع الأخير لا يحملني على البكاء، بل يدفعني لتمنّي الموت بكل صدق، فلم يعد لديّ بقلبي مساحة للتمزّق منذ فراقنا الأخير، ولم يعد لديّ مساحة للتعقّل بعد الجنون الأخير، فإما الموت، وإما أحمل طبلة وأطوف الشوارع أنادي عليها!!

تقول: آن رحيلي، وتقف لنصف الساعة تحاول أن تتركني، وهي تمنع البكاء عني، وعنها... آه طفلتي، كيف لم يعد من حقِّنا أن نتعانق حين البكاء؟! أشعر كأن الشمس توقفت عن إرسال الدفء والبرد، توقفت عن تنسيم الحر والجحيم في الجو كما في القلب، لا أتصوّر أن الأرض ستظل تدور بلا مبالاة، وقلبي يتفجّر عليها لآلاف القطع الصغيرة، والآن لا أرى الانتحار حرامًا، فأنا لن أفعل خيرًا للبشريّة



بدونها.. سأكون مثل خيل الحكومة الذي يستحق تسريحه، وقتله، ولكن هل أجد في الموت راحة، وهل لا أفتقدها في الموت؟

الوداع صغيرتي، بدونك لا أدري كيف ستجتمع ذرّاتي لتكون أنا؟ وكيف ستجتمع كلماتي لأنطق؟ وكيف سأجد الشجاعة لأحلم؟ والسبب لأحيا... لو كُتِب لي أن أتجاوز وداعك حبيبتي فاعلمي أني تجاوزته بأمل لقائك، وأني إن لم أمت من أجلك، فلِكي أحبك حتى الموت.

الليل في شعرها..

والشرق في خصرها..

والجسد خمري كما يقول الكتاب..

عند المغيب.. لقيتها..

نَظَرَتْ إليَّ كأني المشرب

وكأنها.. غزال مرتاب!

غازلتها..

قالت: ستتعب..

قلت..

ما كنت يومًا أهاب..



بهجة خفيفة خافتة، ولكنها واثقة تسري في أعصابي، شمس الشتاء التي ما زالت جديدة، وقد غسلها في الليل مطر الأمس، أحلام قديمة تخلّصت من عبء السعي وراءها، وأحلام وليدة تحبو في الطريق، أتخلّص من تآثأ الأزمة النفسية، وأبدأ صفحة جديدة مع قلبي.... ربما لن يعود كما كان أبدا لكنه - على الأقل - عاد ينبض شيئًا فشيئًا، ثم عاد يستطعم الأفراح شيئًا فشيئًا... في آخر الشتاء سيكون الصيف فصلًا وليدًا قادم، سيحمل معه شمسًا مغسولة جديدة... حينها ربما يفرح قلبي بحرِّيَّة.

أحلام وردية

كوابيس ليلية

حياتي سراب

تحكمها

جنِّيَّة!

ثلاث سنوات خيالية

هل كنت هنا؟

أم أنَّكِ من الحور

وأنا

قد وافتني المنية؟!

يومًا

مررتِ بأناملكِ السحريّة

على جبيني كطفل

وغنيت لي أغنية

وصنعت لي فطائر ورد

وضمدت الجراح

بماضيّ

وهمست بكلمات ضيعتني

بدنا قصية!

ويومًا

فتشت عن ردائك

وعطرك

وضفائرك الذهبية

فما وجدت

غير ذكري

قد تكون

خيالية!!

قولي لي شيئًا

فلم أعد أصدق

ما تراه (عينيَّ)

وطار

أغلب صوابي

وأوشكت البقيّة

قولي

أمجنون أنا؟

أم أنك يا حبيبتي.. حقيقية؟!

هلوسة

ربما لا أذكرها في أحاديثي كثيرًا؛ لأنني لا أعرف حتى الآن إذا ما كانت مرت بي فعلًا أم مجرّد هلوسة من عقل مرهق، كل شيء بيننا كان جميلًا لدرجة لا تُصدَّق، غريبًا لدرجة لا تصدق، مستحيلًا يتحدَّى الواقع، حتى لقاؤنا الوحيد الغريب المدهش... لا أعرف إن كان حقيقيًّا، لكنني أذكر كيف جاءت.. أو كيف تخيلتها آتية. لابد أنها تكحّلت، وارتدت زيَّها الفرعوني، ووضعت النقاب المصريَّ القديم، وارتدت الخلخال الإسكندراني، لابد أنها مشت على ضفّة النيل في رويَّة، فتحوَّلتِ التماسيحُ الغافيةُ على جانبيه تنتظر المعاقبين من قبل الفرعون إلى فراشات ترفرف حولها، لابد أن الشمس خجلت أن تؤذيها فأخَّرتِ الشروق، واكتفت بالشفق، لابد أن الفيضان استدعته خصوبتها، ولكنه غار من حنانها فتحول -بلعنة فرعونية قديمة- إلى ندًى يبلل وجهها في دلال، لابد أن خطواتها قد أثارت الجذور في الأرض، فتركت وراءها في كل أثر شجرة، أوثمرة ناضجة، وفلّاحًا سعيدًا يحصد، مشت وادي النيل كله حتى وصلت، وخلفها موكب

الأفيال، والهنودُ الراقصون وسحرة فرعون يتحدى الزحام القاهري المميت، ولكن المتزاحمين يتركون هذا الموكبِ الأسطوريَّ الغريب، وينبهرون بجمالها... تركت الموكب، والزحام، ومشت إليَّ في دلال ملكي متعجرف خلَّاب، شعرت أنني آت من معارك الهكسوس، وقد دمرتُ ألف مركبة حربيَّة، وانكسر على درعي ألفُ سهمٍ، وعشرات الجروح تُثْخِنُنِي، لابد أنها ابتسمتْ فانتهتِ الجروحُ، ثم ألقت تعويذة سحريَّة عليَّ فعلَّمَتْنِي الشعر، عبرتني بنصف بسمة، ونصف ضربة رمش، وأشارت: ألن تأتي معي؟وكيف لي ألَّا أتبعها؟!

جِلْسَتُنَا الخيالية.... اللقاء الكامل كما تصوِّره القصص، والأفلام، كل كلمة، وكل رد، وكل لفتة في موضعها، مزيج من الشغف، والرومانسية، والهزل، والغزل، لهجتها القاهرية المطعَّمة بمصطلحات فَرَنْسِيَّة، وبها رنة صعيدية تظهر من آن لآخر.. قوامها القصير نوعًا، اللافت في جمال تقاسيمه مهما حاول الزي المتعسف إخفاءه، سُمرتها الصعيدية الجميلة، عيناها الساكنتان في الأزل... لابد أن (أينشتين) رآها، وحملق بعينيها سنينًا في انبهار، ثم جنّ، وجلس يكتب نظرية النسبية، وقد علمته عيناها أن هناك بُعدًا يسمى الزمن.... اخترعه



الحب، واكتشفه أينشتين ليضيع فقط في عينيها... طريقتها في أن تقول شكرًا (ميرسي) تجعل شفتيها تبدوان، وكأنهما تشكرانك على اشتهائهما، وتزجرانك عن مزيد من الغزل الصريح في دلال جميل، هي تستخدم اللغة استخدامًا خاصًّا، صيغة الأمر فيها رجاء كأنه البكاء، يجبرك أن تأتمر، وصيغة السؤال، والطلب فيها رفعة، وكبرياء ملكي يجبرك أن تجيب.... لم أستطع ألا أختار أن أؤسر، على الأقل للحظات اللقاء...

أستمتع بالاستماع إلى صوتها دومًا هو مليء بالحيويّة، والحرارة، والحياة، مع رجفة اشتياق أنثويٍّ تحتلُّ المساحات المشتركة بين الهمس، ونظرة العين الشاردة، صوت يجبرك أن تسكن في خلجاته، ودفئه ما بين السكون، والجنون، ولأول مرة تتكلم امرأة، وأحب أن أخرس، وأستمع...

حُلمي الأزلي يتحقق معها، نناقش الفلسفة، والأدب، ونتبادل الكتب دون أن يفقد اللقاء حلاوة روحه، وحميميته، بل العكس، يأخذنا الأدب إلى مناطقَ أكثر حميمية؛ فنناقش من خلاله الحب بطريقة أحلى، نتعرض لتفاصيلَ أدق، ويبدي كلانا ملاحظاته في تفلسف أحيانًا، وسخرية أحيانًا على كل شيء.... هذا الشعور أني فوق قمة

العالم، هذا الشعور أن الحياة لا يمكن أن تكون أفضل، هذا الشعور بالكمال لا يمكن أن يكون حقيقيًّا، فلابد أنني تحت تأثير مخدّرٍ ما، أو هلوسةٍ ما.. أتخيل الأوركسترا من خلفنا، وأرى (موتسارت) بقامته القصيرة يشير إليَّ بعلامة النصر، ويغمز بعينه، ثم يبدأ في عزف ألحانه الرائعة، هي تحركها الموسيقى؛ فتخلو القاعة فجأة لنا، وتبدأ في آداء رقصٍ إيقاعيٍّ غريب مبهر، ورائق، ومنوم... تتحرك لا مع الإيقاع بل قبله كي تحركه... لابد أن هذه الرقصة هي سبب تحريم الموسيقى، وسبب إعدام ساحرات القرون الوسطى بتهمة الهرطقة، لابد أن القدماء بأوربا عندما شاهدوها جُنّوا، وشَنُّوا الحروب الصليبية، لابد أن (سالومي) كانت ترقص هكذا لأنني حين رأيتها ترقص؛ تناولت الأفعى من حول عنقها في استمتاع، واقتربت كي أُقبِّلها... أريد أن أخلد للنوم، أموت على رقصها، وأبقى سكرانًا بها هكذا للأبد.. هي أعظم من أن أحبَّها، ولكنها تميل عليَّ في حنان، تنزع الأفعى من يديَّ، وتمنعني أن أؤذي نفسي كعادتي.. أستيقظ.. أبحث عنها.. كالعادة لا أجدها.

وأنادي عليكِ من قبري

بهزيم الرعد إذا يزأر

وأناجي شعرك، وظلامه

فدعيه طويلًا... لا يقصر

وأبلل شعرك من رسل

من دمعي العاشق إن تمطر

وأداعب خدَّك من قبل

بنسيم أرسلها كي تنثر

وأقبِّل أقدامك مختبئًا

إن زرتي قبري لأستغفر

وأضم الطين المتبقي

من إثر وجودك متعطِّر

أحمر شفايف ١

عندما يقول رجل عن امرأة: سوف أنساها. معنى ذلك أنه عاجز تمام العجز عن النسيان؛ فالنسيان عملية تلقائية مثل شفاء الجروح، تحدث بالتدريج دون أن نشعر، فإن نظرنا إلى جرح، وقلنا: سوف نشفيه..

معنى ذلك أن الجرح يؤلمنا بشدة؛ لأننا لو اعتقدنا بنفسنا القدرة على الشفاء لشفينا دون كلام، لهذا لم أقل أبدًا سوف أنساكي كي لا أعترف لنفسي بقسوة جرحك، وبيأسي التام من شفائي منك!

ليس يأسي لأني أحبُّك بجنون، بل لأني حين أحببتك لم أتخَيَّل أننا سنفترق، فامتلأت بك حتى الاختناق وتشبعت رُوحِي برُوحِك حتى الثُمَالة، وحتى أصبحتِ جزءًا من كِيَاني لا يتجزأ.. فأنت في مرمى البصر، والسمع، والشرود دائمًا وأبدًا، وحتى حين يسرقني النوم الرحيم من عذابي المقيم أراكِ في المنام، إذا ما ذهبت إلى مكان ينبض قلبي إن كانت به ذكرى لنا؛ فأراك، وألمسك، وأسمعك، كأن كل ما كان هو الآن، ولم تمر عليه سنوات، أو أيام، فإن لم يكن به ذكرى؛ تخيّلت



ما قد يكون فيه بيننا، كيف ستتناجِي به؟ وماذا ستقولين عنه؟ وكيف ستستقبلك أركانه، وأجواؤه؛ فتطبعين عليه بجمالك، وروحك؛ وتنسجمين مع ذراته، وتسترجعين كل همسة هوى. وكل لفتة حب في تاريخه منذ وجد لتجعليه ينطق بحبنا؛ فيدخل ضمن ذاكرتنا العشقية؟!، وإذا ما جاذبني الفرح أطراف الابتسام بحثت عنك في شبهة الفرحة القادمة، فإن لم يكن بها ما يعنيك أغلق قلبي الباب في وجهها، وإذا عانقني الحزن، فحطَّم صبري، بحثت عن لمستك، تبعث صبري، وافتقدتك، فأتلو على الصبر صلاة الوفاة... فكيف أنساك إن كنت ما أذكر في الرفاء، والرفاة؟ أنا حتى لو فكَّرت أن أنساكِ فلا يخطر لي إلا كيف تمكَّنتِ أنت –صغيرتي- من نسياني؟!

أتساءل دومًا... كيف يبدو شَعرك بعد ليلة من ممارسة الهوى؟ وما عادات الصباح عندك؟ وكيف تكونين بين يدي رجل حين يجعلك محراب شفتيه؟ ما طعم الشاي من بين يديك؟

وما طعم النوم على ساقيك؟ والمرض بحضنك؟!، بل أتساءل ما طعم العناية بك؟ بأنوثتك، ورقتك، وجمالك، وطعم قربك القاتل اللذيذ؟ ما شكل مزاجك السيء؟ ومرضك المتعب؟

بل تساءلت ما شكل أغاني (منير) عليك؟ ما شكل أحمر الشفاه بشفتيك، والكحل بعينيك، والسهر معك، والليل بجوارك؟ وماذا يفعل النسيم بشعرك الذي أهواه منذ عرفتك طفلة؟

لدومًا أحببت (منير) حين يطيل نطق حبيبتي بتلك اللهجة الشجيّة الممطوطة، فيجعل لها كيانًا سحريًّا، ووقعًا مُرهفًا قويًّا، كأنها هي قبلة لا كلمة، فكنت دائمًا أتصوّر أنه رآك، وأحبّك مثلي، فتعلَّم كيف يقول حبيبتي؛ لأنك لا تعشقين إلا بجنون، وشغف كما بأغنية جميلة.

الفتاة الملائكيَّة التي قلت لها: أريد أن أضمك... فوجدتها بين ذراعي تذيب سنينَ من الحنين، وتشعل أخرى، حينها شعرتُ بأنني في أقوى، وأضعف لحظات عمري، وأبطأ، وأسرع لحظات التاريخ... وحينما هبطت شفتاك من عليائها لتمسَّ كتفي بقبلة خاطفة؛ توقف الزمان للحظة كي أرقبك؛ فأحسست ما بالقبلة من شغفٍ، وحرارةٍ، وحنانٍ، ورقّةٍ وجنونٍ، وخوفٍ رغم أنها لم تَدُمْ أكثر من ثانية، كانت أجمل ثواني عمري على الإطلاق... حينها عَرْبَدَتْ شفتَايَ بوجهك في اندهاش، وافتتان تبحث عن شفتيك... فلما وجدتها لم أجرؤ أن أمسَّها؛ لأن الجليد بعظامي، والسخونة بوجهي، والدوخة برأسي، أخبرتني أن

مزيدًا من الهوى سيفقدني الوعي.. فلماذا لم أفقد الوعي حينها؟ لوكنت أعلم أن تلك التي كادت أن تكون قبلة ستكون الأخيرة لما توقفت عن تقبيلك قط، لوكنت أعرف أن يديك ستفارق يديَّ للأبد لما تركت يديك قط، لوكنت أعلم أنك ذات وداع لن تعودي لخطفتك، وليذهبِ العالم للجحيم...

طفلتي التي لم تتعلم الهوى قبلي كانت تتناول الهوى كمنوِّم كل ليلة ثم يوقظها هوى مجدد من أحلام الأمس كتحيَّة صباحيَّة مشبوبة الصحو، تستقبل بها شوق يوم جديد، تستقبل هواي كأحمر شفاه له طعم الاشتهاء، ولذَّة الانتحار!

طفلتي التي داعبتُ براءتها، وأنوثتها، وأحلامها، وأرضيت كبرياءها كما لم يفعل رجل لأنثى، طفلتي التي اجتحتها كطوفانٍ من الفرحات الصغيرة، واللذات الجميلة، والكلمات النصف ضاحكة المثيرة، واللمسات شبه البريئة! طفلتي التي كنت أعلِّمُهَا الهوى سُرِقت مني في بداية عمرها العشقي، فلم يُتِحْ لي وقتُ الغدر أكثر من أن أعلِّمَهَا معنى كلمة (حبيبتي).



حبيبتي.. حبيب: صيغة مبالغة من كلمة حُب تعني أن ما أكنُّه لكِ هو مبالغة في الهوى لا تحتملها اللغة إلا بصيغة مبالغة تحكم عليها بالكذبِ، أو الأسطورية، أمّا التاء المربوطة فتعني أنك أنثى... مزيج ملهم من ثلاث: الحنان، والرِّقة، والدلع؛ والياء هي ياء الملكيّة تعني أنك أُنثاي، فلا أنا لغيرك، ولا أنتِ لغيري. فهل لو كنت أعلم قرب النهاية أكان يمكنني أن أختصر الهوى؟ وأجعلك امرأة في لحظات؟ هل كان يمكنني أن أعلمك المستحيل؟ التمرد؟ لم يسعني الوقت أن أعلِّمَكِ إلا الضعف في هوايَّ، فكان ضعفك هو الذي ضيَّعني... فهل يمكنني أن ألومك؟

آه طفلتي، ما أجمل حجج الفراق حين نحب، وما أسخفها! هل كان الوفاء درسًا ينتظر؟ أم كان شعورًا يثور إذا ما حان الوقت؟ ما أغبى لحظات التذاكي لمن هجره الحبُّ!

فهل هو عجز منطق من عشق أن يفهم إيماءات الخيانة؟ أم هي يد الغريق تتشبّث بفكرة الخيانة لتجد في الثورة منجاها؟

يقين العاشق الوحيد هواه، وغير ذلك شك في شك، وإحساس الفراق الوحيد المرارة، وغير ذلك سكون اليأس، أوبسمة التظاهر، فهل تعرفين طفلتي ما المرارة؟

لم تكن في منهج العشق... ولكن أين العشق؟ دعيني أُعَلِّمْكِ أول دروس الفراق، دعيني أعلِّمْكِ قسوة ما يُدعَى المرارة، دعيني أعلِّمْكِ التمادي في الحزن حتى الاختناق، كما تمادينا في الهوى قُبُلا، فلكل ما يتعلَّقُ بك جماليته، حتى حزنك به جمال.... المرارة صغيرتي تختلف عن أي درجة أخرى من درجات الحزن، فهي درجة لا تكتمل إلا باجتماع القهر، والعجز، والانكسار في تجربة القهر من الظروف، والعجز عن تجاوزها، ثم الانكسار حينما تموت أحلام تمثِّل لنا وجودًا، وأملًا، وفكرة الطموح بحد ذاتها، شعور تعجز دورة الأيام عن محو آثاره، ويعجز إيماننا بنفسنا، وبالقضاء، والقدر عن إعادتنا كما كُنَّا، فنحيا أرسخ رجولة من أي عمر عناء بظروف مختلفة، ولكنها رجولة سُرِقت منها متعة الشباب، واطمئنان النضوج، نكون فيها كطبيعةٍ شكَّلتها ظروف بيئية قاسية، فأفقدتها جمالها، وحلاوة روحها، ولكنها تركتها أقوى، مما كانت إذ لم تهدمْهَا... فهل تعرفين متي معنى المرارة حبيبتي؟ أن يكون أقسى أمنيَّاتي مع حبيبتي وداع جميل... أن تكون الكتابة الملعونة هي الممارسة الوحيدة التي تجمعنا.. باحتمال أن تقرئيني، وربما بدمع إن تبكيني.. تجمعنا في احتمال... مجرد احتمال أن تذكري حبي،



وتذكريني.. وأن تكون ذكرايَ ممنوعة، وتكون ذكراك نفسها مشوبة بشيء من اللوم، وعتاب النفس... أن يؤلمني كلُّ شيء متعلِّقٌ بكِ، مع أنني أفتقده بشدة... أن تكون السخرية هي بسمتي، والصمت ضحكتي. هذه المرارة لم أتعلَّمْهَا يوم فراقنا، ولا ساعة وداعنا، بل تعلَّمْتُها حين بحثتِ عني بشفتيكِ، فوجدت أنك تضعين الرجل على شفتيك، وتنزعينه كلون أحمر شفاه لا يناسب فستانك، وحين اكتشفت أن شفاه امرأة مثلك لا تحمل هُوِيَّة قلبها، بل هوية المناسبة التي تتزين لها... فما أجمل ما عَلَّمْتُكِ صغيرتي، وما أقسى ما عَلَّمْتِنِي!

إني سأرحل طفلتي.. ما من مفر..

مرٌّ يتمي، واغترابي عنك..

ولكن يتمي في هواكي أمرّ

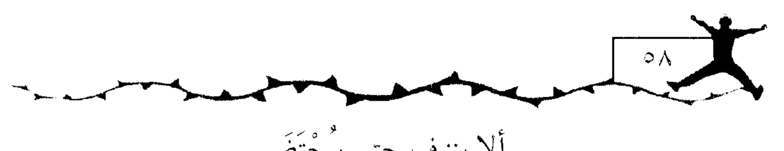
سأضيع في أفق الدروب

كسراب قد خادع البصر

وأموت في حزن الغروب

وكما الشمس... أسلم بالقدر

لا يملك الشفق المجروح



ألا ينزف حتى يُحْتَضَر

في عالمٍ قاسٍ كيف يمكن

أن يولد الحب الجميل، ويستمر؟

أحمر شفايف ٢

عندما يقول رجل لامرأة ما: أحبك... غالبًا ما يكون صادقًا، وكاذبًا في نفس الوقت، بنسبٍ مختلفة للصِّدق، والكذب، حَسْبَ المرأة، وعلاقته بها، فأنت مهما كنت غير منجذبٍ إلى امرأة، لابد من لحظة ما تتألق بها أنوثتها، بضحكة، أو كلمة، أو موقف، أو تعبير تصنعه بوجهها، لابد من لحظة تلمس فيها أعماقك بحنان معين، أو رقَّةٍ معينة، تُذَكِّرُكَ بحنانٍ كان، أو رقَّةٍ كانت، أو تداعب حلم حنان ما، أو رقَّة ما تفتقده بأعماقك، في هذه اللحظه أنت ترغبها، ولا يمكنك أن تكون كاذبًا حين تقول لامرأة ترغبها: أحبك...

الاستثناء ليس المرأة التي تكرهها تمامًا، فهي غير موجودة، الاستثناء هو المرأة التي تقول لها: أحبك، بلا نسبة من الكذب طوال الوقت، لو عثرت على هذه المرأة فأنت أسعد، أو أتعس رجال العالم، أسعدهم لو حصلت عليها، وأتعسهم لو فقدتها بأي طريقة، فمثل هذه من قصص الحب النادرة لا يوجد عزاء لانتهائها.. لا يوجد احتمال أن تنساها تمام النسيان، أو أن تكون كما كنت قبلها، ولهذا -ولهذا فقط-



دومًا ما ينصح كل جيل الجيل التالي له ألّا يقع في الحب، فبعد فترة من الحياة على حافة التساقط، وعلى شفا الانهيار، تبدو مخاطرات الحب التي قد تخل بالتوازن النفسيّ، سخيفة لجيل أكبر، أمَّا للجيل الأصغر الذي لا يزال يرى في نفسه القدرة على المشي في الرمال المتحرِّكة، والمشي على الحبال في السيرك، والسحر الذي يذهل سحرة عصر سيدنا موسى، بالنسبة لهم، فإن الحب ضرورة جنونيَّة، لا يهم إذا ما كانت ضرورة بحسابات المكسب، والخسارة، فهي حسابات لا يعرف قيمتها الرجل قبل أن يجرِّبَ الخسارة!

نحن لا نتعلَّمُ -أبدًا- من أخطائنا عندما يتعلَّقُ الأمر بالمشاعر، فلو كانت عندنا القابلية للتعلم فيما يخص مشاعرنا لتعلمنا من تجارب السابقين العاطفيَّة، لكن نحن نحب أن نقع بخطأ الحب، فهناك أخطاء مُحبَّبة جدًّا، وجميلة جدًّا، جذّابة مثل الضوء الذي يحكي عنه العائدون من الغيبوبة في تجارب الدنو من الموت: النفق المضيء المبهر الذي يشدك نحوه، ويجعلك تشعر شعورًا غريبًا بالرغبة في الاستسلام، وأنت تعلم أن الاستسلام يعني انتقالك للعالم الآخر، ولكنك لا تبالي... أنت فقط تريد دخول النفق الجميل... حيث تقابل مصيرك، وتعرف سرَّ الكون!

ولأن الحب كالحرب مخاطرة تحتاج نبل، وشجاعة، وقبل كل هذا مبدأ وقضية، فإن هذه المرأة النادرة -التي تقول لها أحب بلا نسبة من الكذب طوال الوقت، والتي هي أجمل أخطاء الحب- دائمًا ما تكون مغرية كالفتوحات العظيمة في كل شيء.. أرض أنثويَّة مليئة بثروات مشبعة من الدلال، والخفَّة، والذكاء... والإغراء، مساحات شاسعة من الجمال الطبيعي الذي لا يمكن تزييفه، أو تجاهل انجذاب النفس الفطري له، والأهم: عنفوان، ودماء حارة تقاوم الاحتلال، وتحقِّق عند الخضوع مجدًا يُرضي كبرياء الرجل، وعشقًا مجنونًا، يغلق حواسّه، فلا يعرف بلادًا أخرى، امرأة أخرى... فما النساء إلا أوطان.. نحتلُّهَا أحيانًا.. تحتلُّنَا أحيانًا... نهجرها أحيانًا، وتنفينا أحيانًا...

كنت أحسب -دومًا- أن النسيان شيء يتعلق بالزمن، والإرادة، عندما عشقت مثل هذه المرأة المستحيلة تعلَّمت أن النسيان يتعلق أكثر بالهُوِيَّة.. نحن حينما نحب إلى درجة التمازج، ثم نفقد هذا الشخص -الجزء منا- في ظروف قَدَريَّة مأسويَّة، وقاسية، نمرُّ بمراحلِ الصدمة المعتادة: الإنكار، التناسي الهستيري، الاكتئاب، ثم محاولة التقدُّم مرة أخرى في حياتنا، حينها تختلط علينا هويَّتُنا الأصليَّة التي كانت لنا قبل

الحب، ونريد استعادتها بأخرى اكتسبناها في ظروف، ومواقف عشقيَّة، حتى الأماكن، والأسماء، والأغاني نُكسِبُها هُويَّة لها علاقة بمشاعر الحبِّ، وحين نريد النسيان نريد أن نكون -نحن، والأشياء- على هويَّة بريئة من سيطرة الحب، حتى لا نحيا في وهمٍ قاتلٍ يُسمَّي الذِّكَرَى.

الأدهى أننا نكتسب -ضمن ما تكتسبه هويَّتُنا في الحب- احتياجاتٍ لم تكن تهمُّنَا قبلًا، وصارت عادة، وضرورة، وإدمانًا في علاقة عشناها، تنتهي العلاقة، ويبقى إدمان العادة القاتل، بل قد يُعِدُّنَا إلى علاقة منتهية؛ احتياج، أوحنينُ الاحتياج، فنقيم مع ذكرى علاقة شبحيَّةٍ شبقة.. ننجب منها ذرِّيَّة من اليأس، والإحباط، والوساوس، والانكسار.. حتى نذوي.

«أنا محكوم بأقدار مسرحية».... من رواية الجنرال في متاهة لـ (جابرييل جارسيا مركيز).

أنا أعرف أن القدر ما هو إلا يد الله في الأرض، ولكن الله كي يكون هناك ما يسمي (علم)، وما يسمى (منطق)، ولكي لا يقسو على عقولنا القاصرة بحياة أحداثها غير قابلة للتفسير، فإنَّه يُحرِّك الأحداث بناموسٍ مُعيَّن يتَّسقُ مع حقائقَ، ونظريات دنيويَّة بعضها نعلمه،

وبعضها لا نعرفه بعد، وتبقى المعجزات استثناء يثبت القاعدة لهواة القواعد، وعلامة رُوحيَّة للمتدينين، والإثنين معًا لقلائل، أنا منهم.

على هذا، فإن ما هو ناموس لي غير ما هو ناموس لك، ولأني قضيت حياتي أبحث عن قصَّة خياليَّة أحيانًا، وأعيش أسطورة أحيانًا أخرى، كان من الطبيعي أن يحكم واقعي "بأقدار مسرحيَّة"، بل -ومن باب سخرية القدر كما يقولون- لم أسخر يومًا من بداية، أونهاية موقف ما -في مسرحية- بقصَّة عاطفية، إذا بدا لي غير واقعي، أوخيالي جدًّا، إلا وحدث لي كما هو، أوبمبالغة متطرِّفة في الاستحالة، والخيال، حتى بدأت أظن أن بعض أحداث قصتي في الواقع من نسج خيالي، أوخيال قرأته، وأن جنوني جعلني أكون ممثِّلًا في الحياة لأحداث غير موجودة، كما أنني كاتبٌ في الخيال في منتهى الواقعية!

في النهاية، أبقى أنا ما بين البحث عن النسيان أحيانًا، والذكرى أحايين أخرى، وما بين البحث عن امرأة مستحيلة تمسح كلاهما، أشعر كأنني ممثّل في قصة جميلة جدًّا، حكمتْ عليه أحداث القصة بقبلة.. لامرأة أحمر شفاها لن يُمْسَحَ طعمُه -من على شفتيه- إلا بأحمر شفاه امرأة أخرى له أثر أقوى، وطعم ألذ، كي أبدأ قصة أخرى... وتستمرُّ الحياة.

أريدك أنثى بكل الأوقات..

ولا يكفيني تكوني زوجة ..

تمثل دور الحبيبة في هوامش الساعات ..

ولا أخرى تزور الغرام بحثا عن زيجة..

كجارية تباع بسوق البنات..

أريدك أنثى ...

بها شغف الطفولة إن أحبت..

بها إن تحنو عطاء الأمهات..

بغَيْرتها تثور كبحر الشمال..

طبيعتها عذبة كنهر الفرات..

أريدك قطة..

تحب مداعبة الخيوط بين كلماتي...

وتركض خلف أفكاري، وإيماءاتي

تحب الشقاوة

وتعرف كيف تملأ حياتي..

وتسكن في هدوئي..

وفي حنانٍ صادق النظرات....

أحمر شفايف ٢

من قالوا إن الحب حين يأتي يطرق الباب كاذبون، أو خانهم التعبير، الحب حين يأتي يطرق الجسد كله بدقات خافته، ولكنها مؤثِّرة تتماشى مع دقات القلب، هذا الحنين المراهق لليل، والابتسامة الحالمة في الصباح، والاستمتاع بالتفاصيل الصغيرة مثل تصارع الفراشات حول مصباح سهران معك، مثل التأني في كل أغنية لتستوعبها أكثر، مثل تأمل وجهَكَ في المرآة لترَى إن كنتَ على شيء من الوسامة، ثم ذلك الدفء... وجيب حائر تائه خرج من قلب مجرة بعيدة، ينقضُّ عليك كشهاب، ويسكِنُك حرارته الجميلة المخيفة كعيون نمرٍ كاسرٍ تجعلك تتَّجِه لمصيرك بلا مناقشة، ثم تشتعل الحرارة لنار تُذيب قلبك عند كل كلمة وداع، أو لقاء، تراها في الشوق الذي يسبق اللقاء، والشوق الأجمل الذي يلي اللقاء الجميل طمعًا في اللقاء الأكثر جمالًا، والشوق اللانهائي وأنت معها، ذلك الذي يحتلُّ ثنايا اللحظات... بين دقَّات الكلمات، يغريك بأن تحتضن حبيبتك حتى تحتوي الزمن الآني، والمستقبلي بين ضلوعك المكسورة المحترقة بها، يغريك أن تقول لها



أحبك لأول مرة، وأن تبحث عن بداية القبلة الأولى في شفتيها، وتراقب عينيها بحذر كي لا تفوتك التفاتة شقيَّة، أو ضربة رمش شرقية...

حين تحبها، تبدأ في ارتشافها ببطء خشية أن تلسعك نار الأنوثة بشيءٍ لا تعرفه، ثم إذا ما اعترفتْ هي بحبها، تبدأ في ارتشافها بثقة واستمتاع، تستكشف كل الإمكانات المتاحة في تذوُّقها، وكل الطرق التي تدخل بها من بين شفتيك المتعطِّشة إلى شرايينك لترويها، فتتحوَّل من كائن ليلي يخاف الضوء إلى كائن نهاري يسعد بكل شروق، وإن حزن على الزمن المسروق الجميل... كأي شيء جميل...

حين تمتزجان، لا تفقدُ كلمةُ أحبك وقعَهَا، فقد تغيَّر إيقاعُها، فبعدما كان لها في أول مرة إيقاع صاخب مفاجيء كرقصة أفريقية جذَّابة جدًّا، وبدائية، وغريبة، يصبح لها في ثاني مرة إيقاع الرقص الشرقي، حيث ينتظر الجسد المتمايل الكلمات المثيرة في صبر؛ لينتفض في تؤدة على وقعها مؤكِّدًا كلمة أحبك الأولى بانقلاب صاخب من حينٍ لآخر، يرتجف له الجسد في نشوة كأنها نشوة ممارسة الحب، أمَّا الثالثة، وما يليها، تأتي دومًا في الوقت المناسب، ينتظم إيقاع الهوى بينكما كرقصة التانجو حيث أنتما دومًا على وشك قبلة، كلاكما يضم الآخر في امتلاكٍ،

وثقةٍ، وشغف، يسمع وقع مشاعره، ويتجاوب معها في لذَّة وحشيَّة تَدَّعي التحضُّرَ بحركاتها الرقيقة المتَّزنة... وفي النهاية تتعلَّقُ المرأة بعنق الرجل؛ ليحملها كطفلة إن أجاد حفظ توازنه، أويسقطا معًا إن لم يكن كُفئًا لمثل هذه الرقصة الخطرة، أولئك اللذين يقولون إن الحب ينتحر... قتلةٌ، على رأي المثل الشعبي «يقتلون القتيل، ويمشون بجنازته»، الحب لا يموت في ظروف غامضة، ولا يتناول الوداع سمًّا في فراش مرسوم عليه دائرة وردية، الحب يموت مقتولًا على يد أهله، أولئك اللذين ربَّوه ولم يعلِّمُوه كيف يحتاط من غدر الزمن، حين تُرَبِّي حبًا ينبغي أن تعلِّمه العنف والقوة، وتعطي له سكِّينًا من جنونٍ كي يرد بها عدوان لصوص السعادة، فإن لم تفعل فقد قتلته، وخنته حين تركته يموت وحده ولم تمت معه.

لا تُشيِّعْ جِنَازَةَ حبٍ باكيًا إلا لو كنت معه في نفس التابوت، أو رأيته ابنًا عاقًّا يُسْتَحَقُّ الخلاصُ منه.

وعلى هذا، فنحن إن أنجبنا حبًّا من أعصابنا، ودمائنا، ومشاعرنا لا ننتظر منه أن يعتني بنا، بل نعتني به، أحيانًا يتحامق الحب، وأحيانًا يتكاسل، فواجبنا حينها أن نكون آباءً صالحين، نضمه إلينا حتى يستعيد عنفوانه من جديد..

وعلى هذا، لا نـمارس الغـزل مع طرف آخر إن لم تكن لـه نفس مبادئنا العشقيّة؛ كي لا نفسده باختلافاتنا يومًا؛ فيصير ابنًا عاقًّا..

أيها السادة الشعراء، يا من جعلتم الحب طقسًا وثنيًّا، والمرأة تمثالًا من إغراء. المرأة لم تكن يومًا نصف الدنيا الحلو، المرأة هي دنيا نختار أن نحياها بجميع تفاصيلها، نحيا في عينيها دمعًا يمنع البكاء بلمعة من سعادة دائمة، وفي شفتيها وعدًا بقبلة ميعادها يوم ميلاد العشق الأوَّل، وفي شعرها عطرًا يدوِّخنا، فنسترخي على شعر الأنثى الطويل نغازله عمرًا حتى تخفض رموشها خجلًا، وتحمرُّ وجنتاها خجلًا، ويدقّ قلبها سعادة، نحيا في عروقها حنانًا يجعلها في طفولة دائمة، فما أجمل المرأة حين تعيش بحضن رجل كطفلة وديعه، حينها تملك من النضج العاطفي ما يكفي كي تضمَّه دون أن تحرج رجولته... الحب -رغم قسوته، وعنفه، وشهوته- هوالطريقة الوحيدة كي نعود أطفالًا من جديد!

الله رحيم، فليعش -إذن- من شاء في جنة الّلا حُب بلا مشاعر إنسانية، قانعين بنصيبهم من السعادة المملَّة تتمثَّل في نجاحٍ ما، مستغنيين عن كل المشاعر اللا عادية التي يولِّدها الحب، والمستقبلات الحالمة التي يضعها فينا الهوى، فتجعل من أبسط شيء سعادة غامرة

مثيرة، أما نحن -أصحاب الخطيئة الأولى من لم نصبر على شفاه جميلة، معلَّقة كثمرة ناضجة على شجرة الإغراء- استبدلنا كل النعيم بتجربة مثل الموت، تخرج فيها كل مشاعرنا، وطاقتنا الروحية، ولكن الفارق أنها تعود وقد اتحدت اتحادًا أيونيًّا محكمًا مع روح أخرى، الله سيغفر لنا ، وسنهبط كآبائنا من جنة القناعة بأن نكون فقط(بخير)، إلى أرض الولع، حيث نذوق جمال بشريتنا، نحب حتى نتلاشى في موجات التخاطر العشقي عن بعد..شوقًا، ونتماهى حتى نصبح أشباحًا، ترى الناس ولا يفهمونها، وتَعْبر من خلالهم ماضية في طريقها، لها عالمها الخاص حيث البِلَّوْرَة السحريَّة التي نرى من خلالها الكمال في من نعشق، ربما نحيا في قاع بركان متجدِّد الثورة، ونقذف حممًا لا تسمن ولا تغني عن شغف، لكنها تتفجَّرُ في سماء العالم الكئيب ألعابًا ناريَّة مجهولة المصدر، فقط نحن نعرف أنها لنا احتفالًا بمهرجان الخصوبة العشقية...قد يخمد البركان يومًا، أونتعذب نحن من حرارته أيامًا، ولكن لا يوجد غير سكان البراكين كائنا حيًّا يستطيع أن يحيا بسعادة ضوئية تفني مدينة، وتغير تضاريسَ الأرض في اندفاعها، مهما احترقنا بعد ذلك، فما تلك الندوب إلا دليل آخر على أننا عشاق نرزق...



على مشارف الأبد

تطعنني.. بيد ترتعد

تعتذر.. وتبتعد

لكني.. لا أرد

فأنا أحتمل الجرح

وهي

لا تحتمل الرد

وجرحها سوف يجرحني

جرحًا أشد!

***

على مشارف الذكرى

تبقى كلمات الوداع

قبلات الوداع

طعم الوقت الملتاع

واسم من بيع

ومن باع!



على مشارف الصمت

يختنق صوت الكلمات

يقفز سوط الوقت

ولا يجلدني

لأن الوداع

حكم بالموت!

**

على مشارف الكذب

أحتال على الدمع

لأسعدها!

وأحتال على الحب

لأبعدها

هي قررت الرحيل.. فلن أطاردها!

الجريمة الكاملة

قد حان وقت الكتابة المقدَّس عنها، أضبط الجهاز على أغنية (أحمر شفايف)، أستنشق عبير كوب الشاي الساخن بجواري، أضع بفمي سيجارة لن تشعل إلا بعد انتهاء الكتابة.

كالمعتاد يأخذني (منير) لعوالمَ أخرى حين كانت السعادة واقعًا جميلًا تشهد عليه أغنياته التي أهديت أجملها لها؛ أختنق بمشاعري الثائرة، وبذكرياتي فلا أستطيع الكتابة؛ لأن ما بداخلي لا يعبر عنه إلا صرخة طويلة محترقة كتلك التي تطلقها الشياطين في نار الجحيم، أشعل السيجارة رغم الحريق بصدري كنوع من الماسوشية، أو رغبة الموت التي تحرِّكنا -لو صح كلام فرويد-، منير يصر على موقفه: كل كلمة يقولها كتبت بالضبط على مساحة وجعي، وشكل جرحي، وطعم أشواقي، أندمج في التمزق بتفانٍ كعادتي السيِّئة في الحزن، وفجأة يخرجني صوت جوَّالي من تركيزي بالشّرود، وعلى الشاشة الزرقاء يظهر رَقْمُها الذي لم أسجِّلْهُ أبدًا مهما تغيَّره؛ لأني أحفظه بمجرد أن أراه!، أنظر للرقم الذي ينظر لي في سخرية من اضطرابي، دائمًا ما يأتي



هاتفها متي يأست من انتظاره، وحين لا أتوقَّعه على الإطلاق، أحاول أن أستعد لها قبل أن أرد، لكن يدي تحسم ترددي، وتضغط زر الإجابة بلا أمرٍ منِّي، وكأن يدي صار لها إرادتها الخاصة التي تشتاق لها بجنون (كوب الشاي اللذيذ انتهي أمره..).

يخرج صوتي غريبًا رغم محاولتي ضبطه على نغمة محايده، يأتي صوتها نصف محايد، فأعرف أنها فشلت مثلي في اصطناع الهدوء، صوتها المحبب لذرَّاتي يختصر العالم كلّه في أثير المحمول، يختصر سنين من الوجع، والاشتياق الوحشي، واليأس، والتناثر، والاكتئاب، والاحتياج الجارف المخزي، والبحث الملهوف المشبوب عنها (في الأمطار، وفي أضواء السيارات)، يشعل جمرات من التساؤل في كل أجزائي فأعرف - قبل أن نتكلم في أي موضوع- أني لن أنام لأيام طويلة بسبب هذه المكالمة.

كالمعتاد لا أردُّ تحيتها التقليدية، أواصل معها حديثًا بدأناه قبل أن نتكلم: افتقدك.. هل أعجبتك (ذات الرداء الوردي)؟ ترد بصوتها الذي فقد حياديته بعد أول كلمة حب: تحفة.... فظيعة. لا أدري هل كل الرجال مثلي أم أنِّي فقط الذي تفعل بي كلمة (تحفة) هذه؟ يجب أن



تُمنعي من قول (تحفة)... ستقتلينني حبًّا فيك يومًا ما بهذه الكلمة... أمَّا (فظيعة)، فأنا لا يمكن أن أتحمل كلمتين مسحورتين في نفس الجملة؛ لأني أتوه في الأولى، وتدركني الثانية لتفشل محاولاتها لإفاقتي من حالة التأمُّل الكونفوشوسي بها، باصطناع الجد الذي ما أجادته يومًا!

أواصل هجومي -بلا قصد- وأقول: سأهديك رواية قرأتها لـ(أحلام مستغانمي) أن البطل حينما تزوجت حبيبتُه بآخر أهداها رواية. وأعجبتني الفكرة، كما أنِّي أرى أن قصة حبنا أجمل من أن نستأثر بها لنفسنا!.. تقول في دلال مصطنع، وهي توشك على البكاء: لن أقرأها، ستقرأينها شئت أم أبيت؛ لأني سأسميها باسمك، وسيحكي لك الناس عنها، وينصحونك بقراءة هذه الرواية الرائعة التي بطلتها لها نفس اسمك!، تقول في دلال حقيقي، ومرح: أنت مغرور!.... بالطبع صغيرتي، فالحديث الشريف يقول: (رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه) وأنا أعرف قدر نفسي.

نواصل الحديث عن كل شيء، ولا شيء، أواصل عشقها بكل كلمة، هي لا تصدُّني إلا بخفوت مكسور كأنها -فقط- تريح ضميرها لتستمتع بغزلي!



قلبي الذي اعتاد الطعنات المفاجئة يشعر أن وراء انكسارها ما هو أكثر مما وراء انكسارنا معًا، أتوجَّسُ حين أجدها -بطريقة غامضة- ليست هي، ليست تسمعني لتحيي ماضيًا كانت به أميرتي، وتشحذ بطاريات جلدها لمسافة أخرى من فراق، هي أقدر مني دوما على تحمُّله، صوتها فيه وراء النغمات، والأحاسيس المعتادة نغمة جديدة لا أستطيع أن أحدد معناها بدقَّة، ولكنِّي لا أستطيع تجاهلها أيضًا، شيء ما بصوتها يخبرني أنها لم تتصل لأني أوحشتها فقط!، بغريزتي أستنتج ما تريد أن تقول فأدفعها للخوض في كل المواضيع الذي قد يكون بها شيء تتردد بقوله، رغم سعادتي المنقوصة بصوتها على الجانب الآخر من العالم (من المؤكد أنها في نصف الكرة الوردي الأجمل حيث تنتمي)، إلا أن سعادتي تتناقص -أيضًا- حين أستشعر نهاية غير متوقعة لحالة اللاعلاقة، والعلاقة التي نحياها معًا منذ ثلاث سنوات، حتى ينتهي إحساس السعادة، أو يضمر ليشبه سعادة المحكوم عليه بالإعدام بوجبته الأخيرة الشهيَّة!، كعادتي أفضِّل أن أواجه مخاوفي، بحماقتي أحاصرها بالأسئلة حتى تجيب بأحدها: نعم، أنا سعيدة بدونك، وأتمنَّى أن تسعد أنت -أيضًا- بدوني!!



أُصاب بعمًى مؤقت من صداع مريع، أتذكَّر أني اكتسبت في حبها ضمن ما اكتسبت ارتفاع ضغط الدم، فلابد أنه مرتفع بما يكفي لأموت، وأستريح الآن!

فجأة أشعر كأن صوتها يأتي من بعدٍ آخر، وأنّي بكوكبٍ منفصل مع زبانية الجحيم، أجلد بسياط من كلمتها بلا رحمة، صوتي مكتوم تمامًا كما في كابوس، آه صغيرتي.. لماذا؟هذه الطعنة أصابت هدفها حقًّا وكأني أشعر بها بقلبي النازف، أشعر كأني وحدي بصحراء جليدية أعوي كذئب مستوحش وحيد.... ما أجمل قسوة الحب.. لقد أردت تجربة شعريَّة مؤلمة لتلهمك.... هاك تجربتك سيدي، لن تستطيع أن تشعر عذابًا يفوق عذاب الآن مهما حاولت!

لا.. لا تبكي... البكاء سيريحك قليلًا، وأنت بحاجة إلى الاحتراق بها ومنها حتى تموت، أوتنسى، فلأغوص بعمق الألم، وأنسحق تحت وطأته حتى أتشوَّه تمامًا، فلأتحد بالجنون المطبق، وأحادث نفسي حتى يتفجر رأسي حيرة، فلأقهقه كالذبيح بين الأودية المقفرة ليتردد صوت عذابي بين الجبال؛ فيعود صدى قهقهتي المخيفة ليجلدني وأنا عارٍ تمامًا من أي سلوى أوعزاء!



لـن أضـعف أمامهـا... فجـأة ضربني هـذا الخـاطر كـبرقٍ فأشـعل كبريائي، استجمعت أشلائي لأسـمع صـوتها الملهـوف - أأُصـدِّقُ هـذه اللهفة؟ هل أنت بخير؟، قل أي شيء..!

شكرًا.. شكرًا على صراحتك حقًّا، أنـا أحـترم الـصراحة، ثـم بعـد كل شيء أنـا يهمُّني أن أطمـأن عليـك، وقـد فعلـت... سرَّني حقًّـا أنـكِ سعيدة...

لم أتخيَّل أن أقسو عليك يومًا هكذا!! حقا صغيرتي، أنـت موهوبـة إذن، قمتِ بالجريمةِ الكاملةِ دون تخطيطٍ مُسبَق!.. أتجاوز هـذا الخـاطر، وأقول لها برفق: أنتِ أرق من أن تَقسي عـليَّ، لـست مسؤولًا منـكِ بـل العكس صحيح.

غريـزة التـضحية تـدفعني إلى الهـدوء أكثـر وأكثـر، أتمنَّـى لهـا الخـير بإفراط، وأداعِبُها حتى لا تشعر بأى ذنب.. ينفصم آخر مني، ويشاهدنا بسخرية، ويجهِّز لما سأكتب بعد انتهاء المكالمة.

بدافع من اللذة الوحشيَّة وكأني أريد أن أدفـع بـالألم لذروتـه حتـى أتحطم تمامًا، ولا يبقى فيَّ ما أبكي عليه، أثني عليها وعليـه: لقـد لجـأتِ إليَّ في لحظة ضعف لا أكثر، ولكن هذا لا يَمَسُّ أدبكِ بشيء!

أنتِ -أبدًا- ملاكي، وسأكونُ أخًا لكِ متى احتجتيني، بل إني أرى اختيارك صائبًا، وأساندك في محاولة نسياني... صدقيني لن يبقى مني شيء، متى أغلقت الهاتف ستعود حياتك كما كانت... سعيدة معه بدوني!

تسألني في خفوت كأنه البكاء، والصراخ معًا: لماذا تفعل هذا...أنا لا أستحقه!، صغيرتي، أنت تستحقين كل ما هو جميل؛ ليس لأنك حبيبتي دائمًا فحسب، ولكن لأنك أحلى ما في طبيعة الكون!

جزء خبيث منّي يقول لي: اقتلها بسُمُوِّكَ كي يصعب نسيانك!، إن كانت تريد النسيان... حسن، فلتفعله بنفسها، لن ألوِّثَ يديَّ قط بدماء حبِّنا، أو ذكرانا، فلتحمل وحدها هذا الذنب!

أمسحُ البكاء من عيني، وصوتي، وأقول: لست ألومك بأي شيء... لقد أحببتيني يومًا، وهذا يكفيني.. ستظلين أبدًا حبيبتي... أغلق الهاتف، وأبدأ في الكتابة..

يا حلوتي.. لن أعشقك الحين

لكني... منك سأسكر..

فيك الأنوثة.. خمر.. أوغير الأنوثة يُسكِر؟

رهــان

تمتص أنوثتك كل أشعاري، تلك التي لا أكتبها، ولكن أنثرها على شفتيك، ونَجِنُّ معًا. يمتصُّ ضعفك كبريائي؛ فأقتل نفسي ألف مرة كي أرسم ابتسامة على شفتَي امرأة ليست ملكي..

أشعر أني منهك جدًّا؛ كي أفوز بصاحبة الحسن، والدلال مرة أخرى... ما زلتِ أنتِ تشدك العناوين؛ لأنك تخافين النهايات، بينما أنا تشدني النهايات؛ لأن الكاتب الحقيقي لا يُسمِي ما يكتب إلا بعد أن يقرأه.. وعلى ذلك التناقض الجميل، أبقى أتمنى أن نلتقي في صفحة تكون على مساحة حناني، ووجعك، أوالعكس.. نتساقط على الأوراق حبرًا أسود حتى نتطهَّر تمامًا من فوضى السودوية، ونكتب قصة..

أنا يا صغيرة لا أتعلَّم من تجاربي غير شيء واحد هو قيمة الزمن الجميل؛ لأن الحزن -مهما كان جميلًا- هو عمر عشناه لأجل آخرين، وليس ذلك من حقنا، أو حقهم، لكنني أحتويك كفارس عجوز... فهل لا تملِّين شيبتي؟ وهل يسلِّيك صوتي الحزين في الليل؟ وهل تدفئك أنفاسي البطيئة حين تقول لك أحبك في همس؟ مثلي من استيقظ يومًا فوجد نفسه (هو) كما يراه الناس، ولا يعرف بالتحديد كيف صار هو



(هو)، ولا كيف ينبغي أن يرى نفسه، مثلي من احترف التقوقع في الوضع الجنيني، والأنين لياليَ، واعتاد أن يصرخ حتى تتمزَّق حنجرته... لم يعد يخاف الألم، وإن كان يحترمه، لذا فمغامرٌ أنا، ليس بطيش الشباب، ولكن بطيش من أدرك الكهولة، ولم يَعِش بعد، ويريد أن يجرِّب الحياة مرة.. أن يستلقي تحت شمسها الدافئة تداعب عظامه المتعبة.. أن تستنشق مسامه آشعتها فيعود طفلًا تحت ظلِّها..

مثلي لا يعرف كيف يحب دون أن يؤلم، ويألم؟ لا يعرف الحب بدون حرارة تحرق كل من حوله، فقط كي يذيب ثلوج القطب الشمالي على شكل زهور ويضعها على شفتيك لتدب فيها الحياة، وتصبح زهورًا حقيقة..

مثلي.. لا يعرف كيف يوازن بين الجنون الماضي، والآتي... مثلي لا يعرف ماذا يكون؟ ولا كيف يكون.. هو فقط يكون.. وها أنا ذا أقدِّم الشعر قربانًا، والباقي من عمري رهانًا عليك.. فغامري كما شئت بروحي طالما تضعين روحك في نفس الرهان.

كم أغار..حتى من ثوراتك..

من غضباتك..

من شعرك إذ لامس وجناتك..

من خدك إذ عانق خصلاتك..

من أني لا أحتوي أبعادك..

من صدرك.. إذ يحتوي دقَّاتك..

من أني لا أملك أرضًا تحتوينا وحدنا...

وعجائب تخطف أنفاسك...

كم أغار أنا من صلاتك

فوق سجادة عانقتْ سجداتك...

عانقت (شفتاك... عيناك..)

عانقت دعواتك..

كم أغار..

من ليلٍ عانق أحلامك..

من أني حين تضمِّين وسادتك..

تتمنين طلبًا صعبًا أو سهلًا..

لا أخرج مثل الجنّي أمامك...

وأقول أمنياتك..

وأغير كل حياتك..

شيء في قلبي يحترق

هل أنا وغد؟ أنا أحترم الوغد الذي يرى نفسه وغدًا -على طريقة: بكرة تندم يا جميييل-، وأكره الوغد الذي يروِّج لنفسه، وغيره غير ذلك -على طريقة: أنا وانت لازم نكون صحاب-، لهذا، أمحِّص نفسي، وأبحث في هذا السؤال، لأني -لوكنت وغدًا- أفضِّل أن أكون وغدًا يعترف بها، أو ربما لأني مازلت أرى الخير والشر -على طريقة الأفلام الأبيض والأسود- واضحًا جليًّا، حيث تنقسم الحياة إلى شُبَّان يحبون فتيات رقيقة، وأوغاد يحولون بينهم، الشر في بلادنا حينها كان طفلًا، لا يزال أقصى أمانيه أن يقتل قصة حب صبية!

لكن أسئلة كهذه، لحسن الحظ لست مضطرًا للإجابة عليها في الرابعة والعشرين من عمري، لأن من حقّي الآن أن أكون شابًّا طائشًا متعصِّبًا، يرى نفسه -كأي شاب طائش متعصّب- على صواب دومًا، وكم هي رفيعة الخيوط التي تضعها دُنا الشباب بين الصواب والخطأ.

تندلع العلاقات من مستصغر الابتسامات، وكيف لي وأنا مدمن التفاصيل الحلوة، ألا أرى شبح ابتسامة على وجهها، يخصُّني مع كل

ضربة رمش تعيدها إلى نفسها الأنثى؟ وكيف لي -وأنا مُدمن الشكّ- ألا أشكُّ في شكوكي بأنَّها معجبة بي؟ حينما وجدت نفسي في خضم هذه المعضلات العاطفية، أدركت أني أغرق فيها حقًا، إنه الحب، العرض السخيف كبثرة في وجه مراهق لا يكفّ عن تأمّل لحيته النامية في المرآة، الحب الذي يجعل مشاعرك في هيئة ألغام، انفجاراتها منغمة، ويجعل أفكارك على شكل أسئلة، حيرتها مؤلمة، كم أكره أني -بعد عمر مر- ما زلت نفس الطفل الذي تقتله ابتسامة، وتذيبه دمعة، وكم أكره النساء اللواتي لا يتوقفن عن كونهن فاتنات، ليس لأنهن جميعًا فاتنات، ولكن لأنهن تلك الكائنات الأسطورية طويلة الشعر، التي تمضي نصف عمرها في النميمة، والنصف الآخر أمام المرآة، لكنهن -رغم ذلك- أرضعن الرجال يومًا، ولربما تركن في جيناتنا شيئًا، مثل الشريحة التي تتركها سفن الفضاء الأم في كائناتها -بعد أن تنزلهم الأرض كأنهم أرضيون- فتعود وتذكر السفينة الأم بعد عمر، حين يأتيها نداء السفينة الأم ، وتبقى (الكائنات) قبل أن تذكر شاعرة بالحنين لشيء ما مجهول، ووطن بعيد، إنهن فاتنات، ليست فتنة الجمال، بل فتنة الانتماء، مثلما أفتقد أنا كل حين الفول، والطعمية، والكشري المصري، والنيل

الملوَّث، ليس لأنها أشهى النزوات ولكن لأنها أولها، وأكثرها تعمُّقًا في كينونتي.. وجميعنا -على اختلافنا- فينا شيء ما للنيل، والفول، والطعمية، والكشري المصري!

إنهن فاتنات، لأن الأرض أنثى، ونحن الطين الأسود الذي يغلّفها بالخير، ويجعلها أرضًا قابلة للحرث، والنَّبت.

شيء في قلبي يحترق **** إذ يمضي الوقت فنفترق..(لمن لا يعرف، هذا أمل دنقل).

وكيف لا يحترق؟ وأنا لا أحبك في مقهى صاخب، على طاولة معزولة متعانقي الأيدي، بل أحبُّك في جمع صاخب، يهتف لقضيَّة تحتلُّ كل كياني، وكيانك، فكيف إذا جمعتنا رموز مثل الحرية، والشهادة، وانصهرنا في انفلات ثائر جميل لا يعرف خوفًا، نهتف.. كيف بعد هذا الإنهاك العاطفي الراقي، لا أفكِّر في أنِّي أريدك بانتظاري في البيت حين أعود لأستلقي على ساقيك، وأمارس الخمول العاطفي المتأجِّج الذي يلهمني أجمل ثوراتي، وأحلى كتاباتي؟!

قضيَّتان، هما نفس القضية: المستحيل!!، أنت والقدس، أنا لا أؤمن بأي احتمال لأن يولد في هذا البلد رجال من رَحِم السلام.

أؤمن بأن الأجيال التي لديها أشياء تخسرها (بيت، أسرة، مال)، تربَّت على الانحناء من أجل البقاء، فلا يمكن أن تثور، إنما ينتفض أولئك اللذين يرون الموت يحصد كل شيء حولهم، كل يوم، فيفضِّلون السعي إليه كقرَابِينَ؛ لينالوا وسام الشهادة، خاصة أنهم لا يملكون شيئًا يدفعهم للتمسُّك بالدنيا، فلا أمن، ولا شبع، ولا أسرة، لذا أؤمن بأن شرار النضال ينبعث من قلب النهاية، حين تنتهي آخر حبة قمح، وتُغْتَصَبُ آخر أنثى، قد تكون أمَّك، أو أختَك، ويقع بيت جارك، أو بيتك؛ تعرف أن السلام هو خيار انتظار الموت في رعب، والحرب هي خيار السعي إليه، بل ويحمل احتمالًا بانتصار ولو واحد في المليون، وحينما يكون أول شهيد شهيدًا، وتختم القضيَّة بالدم؛ يكون الموت قد أنهى مناقشة الخونة، والجبناء، ووضع أختامه الحمراء على أبواب الفرار، فتصير القضية قضية كل رضيع، وتصير المواجهة خيار كل آدمي، وجيل بعد جيل يتغذى على الدماء، حتى يجيء جيل يرتوي من دم العدو. وأنت، حيرتي فيك مركبة، فهل الاستشهاد في حبك أن أدعك لشأنك؟ أم أن أضحِّي بما تبقَّى من تعقّل في سبيل مزيد من الجنون الذي قد يكون جميلًا، إن كنت لي؟ وهل أكون من الرجال التي

ملأتها الشروخ، إن خفت أنك أفضل منِّي وقد أؤذيك، أم أكون من الرجال التي ملأتها الشروخ، إن خفت أن لا أجدك ثانية، فأغويك؟

إنه الاستشهاد الأكبر لمن جعل الحب فلسفة، والمرأة وطنًا مثلي، أن يقابل في طريق استشهاده امرأة جميلة، ويتمثَّل وطنه في راحتيها الصغيرتين، الضعفيتين، اللتين لا تقويان على ضمه، تمامًا مثل الوطن المجروح.

قالت لي إحداهن يومًا: كل شيء نسبيٌّ، واليوم أتحقَّق من هذه المقولة المؤلمة، وأنا على وشك أن أحبَّك، أو أذبح قلبي، وهل يحب قلب لا يحب امرأة مثلك وطنًا؟.

وما زال اللقاء المقتضب، كلحظة دفء في صحراء جليدية، نسبيًّا، أنتِ أشهى اليوم، رنة الإجهاد في صوتك تعطيه رجفة أنثوية جميلة، الهواء يطيِّر خمارك تعبث ذرَّات التراب بعينيك، تدمعين، فقط كي أتخيَّل كيف ستبدين إن بكيتي، وحينها تزمين شفتيك في عندٍ للأمن المحتشد، كأنه جيش احتلال صغير يحتل الجامعة، أرى كيف تكون شقاوتك إذا ضممت شفتيك في عندٍ طفوليٍّ غاضب، أو عابث، ثم ألوم نفسي على هذا كلِّه، وألوم قلبي الذي ينجرف معك، وينسى ما نحن هنا.. هل



تظاهرت كي أراك؟ وهل كانت حميتي، كي أذهب ما وراء الشمس لعلي أنساها؟ أم كنت مخلصًا للقضيَّة؟

في الواقع، الأحمق فقط هو من يحسب أن كل سؤال له إجابة واحدة، وكل فعل له دافع واحد، وإنما تحركنا دومًا تركيبتنا كلُّها لنفعل أو لا نفعل شيئًا، كل ما أعرفه أن وجودي معك، كان مطهِّرًا من كل عذاباتي، وإن جدت على عذاباتك، إلّا أنها عذابات الخلاص، كصدمة أوّل شعاع شمسٍ لمن استيقظ لتوِّه، حارقة، منعشة، مؤلمة ومطهِّرة...

بيننا حوارٌ من خلال آخرين، كعادة المصريين تركوا الموضوع الأساسي، وتفرقوا جمعيًا، إذ تجمَّع الأمن يسدُّ البواباتِ، ويستخدم العنف، نادى فريق بمقابلة العنف بالعنف، والآخر يقول ألّا ننحدر لهم، أتابع دفاعها الحار عن مبدأها على طريقة تلميع مقابض الأبواب الشهيرة، وإلقاء الأذن، وأنا أريد أن أحطِّم عنقها على ركبتي لأنها ترد - بأدب وحياء-على الشُّبّان الآخرين، وكأنها صارت ملكي، وأتعجَّب من قدرتنا اللانهائية كعرب على صنع الاختلافات، تذكرني دومًا مجادلات الناس بخلاف الشعب الأميركي الشهير حول (الفيس بريسلي elvis presly) و (فرانك سيناترا frank sinatra) من منهما

الأفضل؟ والواقع أن الأمريكين يحق لهم أن يتنازعوا على هذا وأقل، وتصير همومهم أتفه الأشياء، إذ تَوَفَّر الملبس، والمسكن، والأمان، وملأت جيوشهم الأرض، بل وتطوَّرت ثقافتهم ليتخلَّصوا -إلى حد بعيد- من العنصريَّة، أمَّا نحن، فقبل أن نختار ما بين الأهلي والزمالك، والإخوان وأنصار السنة، وعمرو خالد ومحمد حسان، وعمرو دياب ومحمد منير، علينا أن نقدر أولًا على اختيار حاكم لنا -ولم نفعلها من بعد الأربعة الراشدين-، بل نتعلم كيف نختار رئيسًا لاتحاد الطلبة في أي كلية، فلماذا صغيرتي تزجِّين بنفسك بين هؤلاء الحمقى اللذين تثير جنوني انتماءاتهم الصغيرة التافهة؟ ولماذا -رغم اتّفاقي مع غايتك- تزجِّين نفسك في حدث قد يمسُّك بسوء فأقتلك غيظًا، وأقتل نفسي؟ ولماذا لا يوجد قانون أوشرع يبيح لي أن آخذك -غصبًا- من ذراعك بعيدًا عن كل هذه الصراعات؟ لكنها قواعد التحضُّر السخيفة التي لا يصبر عليها رجل كهف مثلي، حدث أنه يكتب الشعر، ويعرف الحب!

عيناك... سحر شرقي أسود..

وأنا ناي...

فانسابي لحنًا أزليًا..

من أنفاسي للأغنيَّة

وانسابي لحنًا لا يتمرَّد..

من بين الأحبال الصوتيَّة

من بين دمائي... ولهاثي..

وعويلي المشروخ المجهد..تتولّد أغنية...

أعذار قيس الملفقة

(في الحقيقة كل رواية ناجحة هي جريمة ما، نرتكبها تجاه ذاكرة ما، وربما تجاه شخص ما، نقتله على مرأى من الجميع بكاتم صوت. ووحده يدري أن تلك الكلمة الرصاصة كانت موجَّهة إليه)... من رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي...

لهذا أكتب عنها ولا أكتب عنك! أنا اكتفيت موتًا من حبِّها، فكان يجب أن أدمِّرنا معًا بهذه الكتابات الانتحارية، وأراهن على قدرتي الفائقة على النجاة من تحت أنقاض الأحلام التي هدمها القدر.. أراهن أنني حين أهدم معبد الذكرى على كلينا بانفجار المشاعر هذا.. سأقتلها ولن أموت، ربما أحيا عاجزًا، ولكن أن أحيا عاجزًا جرَّاء إصابات النسيان من انفجار كلماتي خيرٌ من عجزي تحت رحمتها بترياق الوفاء المسموم، أن أحيا عاجزًا لأنني فقدت أجزاءً من روحي خيرٌ من أن أحيا عاجزًا وأنا مكتمل الروح بها.. عجزًا منها وبها، ففي هذا إهانة أكبر لرجولتي...

ربما كنت أستطيع أن أُنهيَ علاقتي مع ذكراها بسلام لولم ترحلي أنت بحماقة وجبن! نعم، أنا سألتك الرحيل، ولكن كان سؤالًا من

النوع الذي تجيبين عليه بكلمة حب!، خفت أنت من ذكرياتي، وربما خفت من مقارنتك بها، لم تفهمي أن هناك فارقًا ضخمًا بين التراث والحلم... هي تراث ثلاث سنوات من الحب، لابد أنها تركت الكثير منها بقلبي كما نسيت أنا أجزاءً من قلبي عندها، تمامًا كما يترك بنا التراث عادات لا نريدها، ولكننا إذا ما تغيرت ثقافاتنا، واتجاهاتنا الفكرية نغيِّر هذه العادات بمرور الوقت... وهذا ما كنت أحتاجه منك، ولا أستطيع أن أسأله: الصبر!، أمَّا الحلم صغيرتي فهو أنت! هي انتهت من أن تكون حلمي حتى من قبل أن تنتهي من قلبي، فالعقل يدرك نهاية الأحلام قبل القلب، ولكن القلب بأساليبه الملتوية يدفعنا للمضي بطرق نعرف أنها مسدودة، وأن سعادتنا لا تقبع بنهايتها، فحتى لو تجاوزنا كل النهايات المسدودة بالالتفاف من الأزقَّة الخلفيَّة للتغاضي نضطر أن نترك قطعة من متاع الحب فيما يسمي بالتضحية عند بداية كل زقاق، والحب تقتله التضحية. الحلم هو أنت، منذ عرفتك عرفت أنك قصَّتي القادمة، للمرَّة الأولى لم يرسلِ العقلُ أية إنذارات للقلب، بل بارك اختياره، وشجَّعه، فما وجد اثنين أكثر تفاهمًا وانسجامًا منَّا، لكن أنت أردتِ إعلان استسلام كامل بلا شرط، وأردت وعودًا مؤكَّدة، وأنا

رجل لا يعطي وعودًا، لا يملك ثمنها بجيبه ليلقيه في وجه الظروف إذا ما أتت لطاولة الحب تسأله الرحيل! وأنا رجل لا يمتلئ قلبه دون عشرة، دون انصهار تام بين ذراتي وذراتك، بين احتياجاتنا وعطائنا، بين جنوننا، بين ضعفنا، بين ذكرياتنا، بين أسوأ مخاوفنا، وأكثر أمانينا جموحا، نحن كنَّا بعد مجرد احتمال... لم أكن قد أعطيتك أفضل ما عندي، ولم أكن قد ذقت طعم أنوثتك بما يكفي كي أنسى طعم أنوثة أخرى، ربما أنت أشهى، وأجمل، وأذكى، ربما أعرف أنني كنت سأحبُّك أكثر، ولكن لا يزال طعمها هي بقلبي، وأنت لم تخوضي ما يكفي من دروب الحنان بشراييني، كي تضعي خاتمك بقلبي...

كنت أحتاجك لأني أحبك، ولا تعارض بين أن أحبك، وأن تكون بقلبي بقايا حب آخر. فأحيانا تأخذنا أقدامنا خطأً لعناوينَ قديمة، رغم أننا نسكن بعناوينَ أفضل اخترناها بأنفسنا، ودفعنا في هذه الأوطان الجديدة كل ما نملك، إلَّا أن مساراتنا العشقيَّة لا تتغيَّر بثانية، بل هي تدور ببطء على قُضبان ثنائيَّة من الخيبة والأمل لتوجِّه نفسها لوجهة جديدة مثل قطار قديم يُغيِّر اتِّجاهه في تأنٍ وتعب، كنت أحتاجك لأنني أحتجت أنوثتك كلَّها بهذه اللحظة التي كنت مسحوقًا

فيها بحبك، وذكراها، احتجت أن تكوني امرأة على مساحة أوجاعي دون أن تطغي على مساحات رجولتي، ولم تفطني أنت للخطوط الفاصلة الحمراء بين المساحات! وها أنت بدلًا من أن تزيحيها من عرش الذكرى الترب بثقة أنثوية رحلتي خوفًا، أوغضبًا من تحديات لم يكن يهينك فيها غير وضوحها، لأنني لا أُزيِّف الحقائق، ولكنها تحدِّيات في أي علاقة، ولم أحسب أن تتصرفي مثل أي امرأة... ها أنت تركتيني بدروب الألم وحدي، مُحمَّلًا بخزيها واشتياقك، حتى طعنت قلبي بسكِّين الكتابة وقطعتها مني، وقفيتها بقصائد... فهل أنت سعيدة بنزيفي؟

أحيانًا أشعر أنك مجنونة تحبِّين الحروب والدِّماء، مشاكل الحبِّ صغيرتي لا تُحلُّ بساحاتِ الكتابة العنيفة، بل بالفراش. كنت أرى حضنك كفيلًا بنسيان كل ما يتعدَّى مساحة ذراعيك الصغيرتين! تعجَّلت أنت كعادتك في الاندفاع الداخلي! انفجاراتك تكون في مساحات الانهزام، وانتصاراتك كلُّها في فن الهروب، ومهارتك في الحب هي تفادي الاستسلام له... فهل ترضيك حياة تسمك في مجملها بخيانة أحلامك العاطفية، والأدبية؟

كعادتك في العِناد، سمَّيتُ الانهزام انتصارًا، وتماديت في التفاخر به حتى أوجعت قلبك وقلبي! كعادتك في الوفاء لما ترينه وهم... بقيتِ على قيد الوفاء لي، كعادتك في التعثر بين الأوهام... تعثرت في كتاباتي، وحين أوشكت على الوقوع شوقًا تشبَّثت بقسوة في عُنق كلمات، وداعي لتبقي على غضبك الأنثوي على قيد الاشتعال! كعادتي في الحب، أحبك كما لم أحب امرأة أخرى، أحبك بقسوة ،لأني أكثر تحطُّمًا من أن أكون حنونًا وأنت لست بين يدي، أحبك بجنون يشتعل تحت رماد الوداع، ويومًا سأدهشك بحبي المجنون، أحبك بتأنق فكل من عرفتهن قبلك من النساء لو أنهن أغنية لكنت أنت مقطوعة لعمر خيرت، ولهذا لا يمكنني أن أحب في حضور ألحان أنوثتك بأقل مما هو لائق من التأنُّق! ولا يمكنني أن أحضر عزفًا فرديًا لأوركسترا استسلامك دون حجز مُسبَق بقاعة التلميحات الأنثويَّة على مائدة تضم ثلاثة: أنا وأنت ومعاهدة سلام مع عنادك، تمضين عليها بشفتيك بكلمة تقول: آمنت بك!، أحبك بيأس، فأنا حين أحب أحرق كل سفن النسيان... فأنت بين شفتي... وأنا لا أتراجع عن تقبيل امرأة أغلقت عينيها تنتظر التلامس المقدّس، أحبك مثلما يحب الربيع عاشقين فيختصهما بنسمات

جمعاها من أنحاء الكرة الأرضية، كذا أنا توقفت بكل محطات المفاجأة لأجمع كل تذاكر الإغواء، وسأختصك برحلة غزل ستحملك في قطار النشوة إلى عالم تعشقينه بما يكفي لتكرهينني؛ لأنني جعلتك بمثل هذا الضعف. استسلمي الآن، أو غدًا... ضاع مني ما يكفي من العمر ليجعلني لا أبالي بضياع المزيد... استسلمي وقتما تشائين، ولكن كل وقت يضيع أتساقط أنا إعياءً فهل تحتملين أنت بعنفوانك أن تعشقي قلبًا عجوزًا، وجسدًا شابًّا؟ ما زلت على شفا الانعتاق... وأنت عنادك يكفي لأستسلم لأسرك.... فلماذا تحاربين طواحين الهواء؟ وتتركين ساحات الهوى بمثل أعذار قيس الملفَّقة؟ تذكَّري... أنا أكتب إليك لا عنك.. وأريد أن أكتب إليك وأنت حبيبتي، ولا أريد أن أكتب يومًا عنك، فأنا أحمل ما يكفي من ذنوب القتل بين كلماتي.

لا تقبعي... بنوافذ الهوى

تتأمَّلي طرقات قفر

آثرت حين رحيلي

بنوافذ الهوى ألا أمر

لا خوفًا منكِ.أو منِّي

أوخوفًا من طعنة غدر

بل لم تعودي ملكي... لم أعتد

أتسكَّع النظرات في ظلم الفجر

ما كان حبِّي جُرمًا كي أسرق الذكرى..

من تحت نوافذ الغير!

كان الهوى وطنًا

قد كنت شاعره

قد كنت حاكمه

كيف اليوم أعود لقيطًا بشوارعه

بل كيف اختصر الهوى في شبر؟

إني سأبقى ذكرى

وسأختصر الذكرى...

ركنًا حميًا في الصدر

سلمى

قليلًا ما نقابل فتاة بجاذبية فاتنات هوليوود، ربما نقابل آلافًا بجمالهن، ولكن برأيي أن الاختيار في هوليوود للنجمات لا يعتمد على الجمال بقدر ما يعتمد على الجاذبية، فاتنة هوليوود هي الفتاة التي يُقال عنها: هناك شيء ما في هذه الفتاة، هذا الشيء قد يسمي القبول أوحلاوة الروح، أو الجاذبية، أو الأنوثة، باختصار، هو الشيء الذي جعل سعاد حسني معشوقة الجماهير على مرِّ العصور، رغم أن السينما شهدت من تَفُقْنَها جمالًا.. وهوالفارق المهم بين الجمال، والفتنة؛ الجمال خلق ليسيطر عليه الرجال، بينما الفتنة خلقت لتسيطر على الرجال.. !

كانت «سلمى» من هؤلاء الفاتنات، عندما قابلتها لأول مرة، كانت قد تأخرت في درس مع أختي التي سألتني أن أوصِّل الفتيات لمنازلهن وهي معي، ورغم أني لم أعتد التحديق في الفتيات، ولم أعتد أبدًا أن أنظر لصديقات أختي، لم أستطع أن أحدق بها وأنا أسألها: إلى أين أتَّجه؟ لتقابلني هي بإيماءات غير مفهومة؛ هي مزيج من الخجل، والدلال، والرقة، والطفولة، ثم تعبر: (امشي كده كده)، فأرتبكُ تمامًا،



وأضغط على أعصابي كي أقول في سخرية هادئة: يا سلام! فتنفجر هي ضاحكة في براءة لتُطَيِّر آخر برجٍ في عقلي، وتقضي على بقية أعصابي!

كنت وقتها خارجًا من علاقة حب عنيفة هي قصة حياتي، ولم يمض بعد على وداعي الأخير بضعة أشهر، لم أكن قد تعلَّمت بعد كيف أنظر للنِّساء على أنّهن إناث، ولا كيف أركِّز في معالم وجهٍ آخر غير الذي بذاكرتي إلَّا أن أنوثة سلمى، ومعالم وجهها الجميل حرَّرا رجولتي من أسرها؛ لأكتشف أن في العالم إناثًا أخريات تتربَّع على عرشهن سلمى، تلك التي النظر إلى وجهها يجعلني أنزِفُ، ويعطيني الحياة في نفس الوقت!

وتهامست الفتيات ليصلني يومًا أن سلمي تراني وسيمًا! لم أفهم ذلك قط، وإن كنت شعرت بإطراء لا حدود له حتى أني لم أصدق، نعم، ففتاة مثل سلمي هي -كما يقول الأمريكان- خارج نطاقي! كل شيء فيها مُتقَن تمام الإتقان، وجميل، كأنها خلقت لتُرسم، أو يُكتب فيها الشِّعرُ، أو لتجعل الرجال أمثالي يتحسَّرون على أنفسهم، أمَّا أن تُعجب هي بي فيبدو ذلك سخيفًا، ومبتذلًا كالأفلام الرومانسيّة الحمقاء..

هي يناسبها فتًى برّاق من الطراز الذي يبدو دائمًا، وكأنّه خرج لتوّه من المغسلة ومن عند الحلّاق، في نفس اللحظة مرتديًا ثيابًا أنيقة صُمِّمَت له خصيصًا على يد أشهر المُصمِّمين، واحد من الذين يقولون الأشياء المناسبة في الأوقات المناسبة، ويلقون دعابات رقيقة مرحة، ويعرفون كيف يحبُّون الفتاة دون أن يتحكَّموا فيها بديكتاتورية، مع لمسة غموض جذَّابة وغيرة لا تخرج عن السيطرة! أمَّا أنا؛ ثيابي تشي بلمسة أناقة قتلها الكسل، ولحية نصف طويلة دائمًا أنسى تهذيبها، وحس دعابة سودوي مملّ، ومزاج متقلّب يجعلني أقول أي شيء في أي وقت مع ميل لإخضاع حبيبتي باسم الحب على مبادئي التي كوّنتْهَا سنونَ من الجنون الداخلي والخارجي... فتيات مثل سلمى يعجبن بي فقط في الأفلام الرومانسية التي تنتشل فيها الفتاة الرائعة الكاملة الرجل الموهوب المغمور بأحزانه من أحزانه لتجعله كاملًا مثلها.. ولأني تمنَّيت دومًا أن أعيش هذه القصّة، ولأننا نحب أن نتصوَّر أننا النادرة التي تخترق قيود الواقع... تقدمت لخطبة سلمي...

في أول لقاءين كدت أفقدها، كنت قد أمضيت عمرًا مع فتاة ملكي، ونسيت الطُّرق التي أمتلك بها فتاة لا تحبني بعد، ولأنِّي لست



أحمقًا تمامًا فقد استعدت نفسي بسرعة في ثالث لقاء، وعاملتها كما تستحق، كأميرة؛ لأجد طريقي إليها بهدوءٍ، وثقة، ولهفة..

مضى الأسبوع الأوّل من خطبتنا سريعًا كالحلم، اكتشفت اكتشافًا مُذهِلًا، فقد كنت أتوقَّع -بحكم التنميط- أن تحت الرأس الجميل عقلًا نصف نشط على قدر المساحة التي تحتاجها الاهتمامات الأنثويَّة الشكليَّة، إلا أني اكتشفت ذكاءً أنثويًا حادًّا، وحسَّاسًا، واستجابةً عفويَّة لما أُحِب، فقد التقطت مزاجي بسرعة غريبة، واستوعبت عصبيَّتي برقتها ودلالها، ورغم أننا روحان من عالَمَيْن مختلفين.. إلا أن ذبذبةً ما مشتركة بيننا، أشعلت شرارة حب وليدة بقلبها الغض، وقلبي الذي لم أحسبه سينبض ثانية..

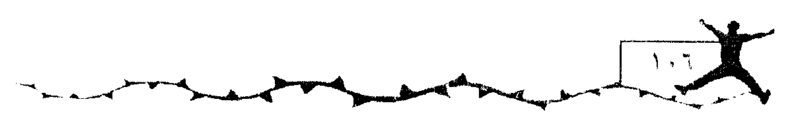
شعرت أني على وشك حدثٍ جلل، قصة حب مجنونة أخرى، وهذه المرَّة مع فتاة جاذبيَّتها قاتلة، جاذبية قد تجعلني أسيرًا لها للأبد، وأنا لم أعتد هذا النوع من الحب النزاري (نسبة لنزار قبَّاني) الذي تكون المرأة فيه الملكة الشرعيَّة على مملكة المشاعر، والمبادئ، واللغة، ولذا كنت خائفًا جدًّا من فقدان نفسي، فأنا لو سافرت فيها هيامًا لن أجد سببًا لأعود، ولو فرَّقتنا الأقدار سأبقى شريدًا للأبد، كنت أتهاوى، وأمنع

نفسي من الوقوع بحبِّها رغم أن ذلك يُعارض كل مبادئي العشقيَّة التي كُتبت بدمائي الحارَّة المندفِعة، واعتمدت الجنون شعارًا رسميًّا لها.. ربما لهذا أيضًا كان خوفي، فيومًا سيتغلَّب طبعي الـمُغامر، وأقع بحبها تمامًا..

وفي خِضَمِّ هذا الصراع الجميل، وعلى خلفيَّة بعض خلافات بسيطة معتادة في كل الخطبات بيني وبينها، أو بيني وبين أهلها، جاء يوم الخطبة الرسمي..

كان يومًا غريبًا، كنت أشعر كأني في عالم آخر، أريد كتابة الشعر، ولكن كل شيء فيَّ تائه، وكأن قلبي قد دسَّ في دمائي مخدِّرًا ليعد جسدي، وعقلي قربانًا لها، سألتني أي الألوان ترتدي فهي محتارة بين ثوبين فأرسلت لها زهورًا انتقيتها بدقَّة مع بطاقة إهداء: تبدين جميلة في أي لون!

كالعادة نسيت أن أحلق لحيتي، وإن ارتديت حُلَّتي بعناية لأن أمي هي التي أعدتها لي.. ذهبت إلى منزلها حيث الاحتفال الصغير المؤقّت بخطبتنا، انتظرتها في شوق قليلًا لتخرج لي بثوب يكشف عن فتنتها في تهذيب..، في دلال يُذهب العقل سلَّمتْ عليَّ وأنا لا أستطيع أن أرفع عينيَّ عن وجهها الجذَّاب المغري، كالعادة جلسنا نتبادل المزاح، وأنا



أُغازلها وهي تستفحل غزلي في ثقة أنثى تعرف كم هي أنثى، وفي خوف أنثى تعرف ما يفعل غزلي بالأنثى..

المدعوون القلائل -من أهلي وأهلها- يتبادلون الكلام المعتاد في تلك المواقف، بينما أنا لا أبالي بأحد غيرها، أنتزع من حين لآخر حُمرةً جميلةً من خدِّها، أو صيحة استنكار رقيقة نصفها دلال...

كان كل شيء مثاليًّا، حتى أنني بدأت أفكِّر أنني وغد محظوظ، أو أن قلبي قد كُتب له السعادة أخيرًا، وحين انفضَّ الجمع، وتأهَّبتُ لأقع في الحب مرةً أخيرة، وآخذها معي لمدينة الملاهي التي صنعتها من شعري، ونسائي كي نركب معا دوّامة الهوى، ونحلِّق فوق العالم، ثم أُعلِّمها كيف ترى الأشياء بحكمة، ورومانسيَّة، وجنون، وهي مغمضة العينين، دخل أبوها، وقاطعنا في هدوءٍ مريب، أرسلها إلى غرفتها، وقال أنه يريدني في شأن رجولي، فأغلقتُ مدينةَ الملاهي، وفتحتُ قاعةَ المؤتمرات المزيفة التي أحتفظ بها على طرف لساني للحديث مع من هم أكبر سنًّا...

كان ما يطلبه أبوها بسيطًا، وفي متناولي، إلا أنه كان يخالف مبادئي.. لأنه اتفق مع أبي على شيء، ويريد أن يُغيِّر الاتفاق معي..



هو: أعرف أنك صغير، ولكنك بمئة رجل، ويمكنك اتخاذ قرارت..

أنا: نعم، ولكن الأمر لا يتعلَّق بصغير، وكبير بقدر ما يتعلق بأب وابن، لا يمكنني أن أنقض كلمة لأبي، ولو كان عمري أكبر من ذلك بخمسين عامًا، حينما وافقت عليَّ زوجًا لابنتك كنت ضمنيا توافق على أبي من قبلي، وكان جزءًا من ثقتك بي ثقتُك في أن لي كبيرًا سيعيدني لجادة الصواب إذا ما أخطأت يومًا.. أنا لا أرفض كلامك، ولا أقبله، فقط أقول أني لا أملك أن أغيِّر اتفاقًا أبرَمَه أبي دون الرجوع إليه..

انصرفت غاضبًا من اهتمامه بأمرٍ ما، بطريقة تعني شكَّه في مدى جِدِّيتي، وغاضبًا أكثر من التوقيت الغير مناسب؛ لأنه أفسد عليَّ أمسيةً جميلةً كادت أن تكونَ ساحرة.. وحين عدت لأحكي لأبي ما حدث، انفجرت الخلافات لأجد نفسي فجأة غارقًا في أحاديث عن (الأصول)، ثم أجد نفسي في لحظة مخيَّرًا بين أن أستمر معها على الرغم من أهلي، وبعدما حدث شرخ عملاق بين أهلي وأهلها، أوالرحيل...

كنت ما زلت مثخنًا بالجراح من معركة سابقة تحمل نفس سخافات الشرق المرهقة، كما أني -أيضًا- لم أكن على استعداد لأخسر



احترام أبي.. الشخص الوحيد في العالم الذي يهمُّني احترامه، كنت أريدها، ولكن كيف أعاملها بعد ما حدث؟ وخبرتي علَّمتْني أن الشروخ التي تحدث بهذه الطريقة لا تلتئم أبدًا، فكَّرت طويلًا لأجد أن شيئًا لن يعود كما كان بيننا، وخاصة بيني وبين أهلها، أرسلتْ إليَّ رسالة تسألني فيها عن مشاعري: لا يهمني ما قيل، فقط أريدك أن تحدِّثني أنت، وتُفْهِمَني ما حدث.. أين مشاعرُكَ التي حدثتَني عنها؟

كتبت ألف رسالة، ومسحتها، طلبت رَقْمَ هاتفها ألف مرة ثم تراجعت... تذكَّرت كيف كانت خسارتي فوق احتمالي حينما عاندت الواقع آخر مرة، فتحت رسائلها، وأغمضت عيني، ومسحت كل شيء.. بينما عيناي تلتمعان بدمع انسحابي لأول مرة في حياتي...

إن البحور تثور.. هذا شأنها..

وتعود دومًا لمصالحة الرمال..

أسماك البحر تهجر بحرها..

وتعود أكبر بعد الترحال

والماء يهجر أرضه للسحاب..

ليعود أمطارًا على قمم الجبال..

تتغير الأشياء.. في أشكالها..

لكنها تبقى على منوال..

وأنا كما البحر وكل ما فيه..

حبِّي له في كل يوم حال..

ودماؤه الحمراء من خديك..

تبقي دماءكِ في جميع الأحوال..

أبقي عليك بصدري جرحًا حبيبًا..

وكأن جرحك في الهوى تمثال

أو كاهن بالذكرى يعمد كل قطرة

فتكون شهدًا في دمي كلّما سال

ما أدري غير أني أهواك..

كهوى الظمآن للماء الزُّلال

وحنيني لكِ مثلما الطفل القعيد

دومًا يحن إلى لعب الأطفال..

وضياعي فيكِ من بعد ضياعك..

كضياع طفل في الحكاوي، والخيال

أسطورة أنت ولستُ الشاطرَ حسن..

ما أملك إلا شعرًا.. لا يقال..

الحب عند الناس داءٌ عارضٌ..

عندي أنا مرض عضال..

ولقد هويتُك حتى برى جسدي

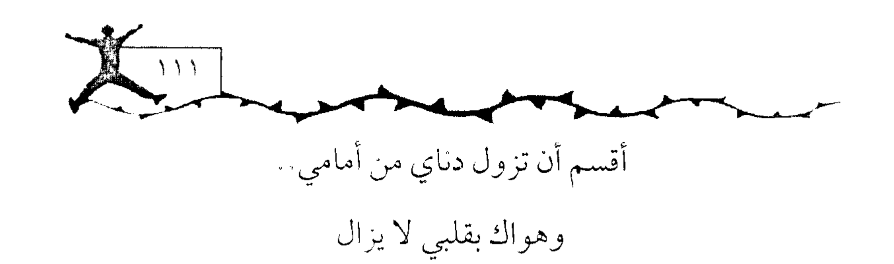
ومرضت بفراقك القتَّال..

بي.. جنة.. وهيام.. وشرود..

وبحبي.. شيء من خبال..

فبكل أيمان الأديان ..

وبكل وعد في الهوى العربي يُقال..



أقسم أن تزول دناي من أمامي..

وهواك بقلبي لا يزال

امرأة الكمال

لماذا تقود كل النساء إليك؟ لماذا كلما نسيتك حينًا، وأوقعت نفسي في حب أخرى، تعودين من خلالها؟ أفتقد عطاءك الذي لم أسأله، ولم أفتقده يومًا، بل كان يغمرني دومًا، أتذكَّر حنانك... حنان الأطفال التلقائي الذي نشعره حين نحتضنهم، وكم يختلف ذلك الحنان الجميل عن حنان الناضجين البارد حين يضمونا كواجب!

لماذا؟ لماذا تلبسينني كلعنة جميلة؟ وتكتبين حياتي كلَّها ببضعة سنين قليلة عشتها معك؟ لماذا كلما كتبت قصيدة ليست عنك جاءت باردة مفتعلة؟ لماذا لم تدمع عيني إلا في حضورك؟ لماذا لم أرقص طربًا إلا بحضورك؟

كرهت تعلقي بك، وإيماني بأنك امرأة الكمال لي، وأبت كل امرأة إلا أن تثبت أنك امرأة الكمال بنقائصها، وتعيد إيماني بكِ بألا تؤمن بي! أحببتيني أنت، وأردتيني زوجًا لهذا، والأخريات أرادوني زوجًا فأحبُّوني! كنت تخجلين من ظلِّ رجل على الأرض، وتعطينني كل ما يريد رجل من امرأة، كنت أميرة النساء، ولم تَرَيْ أن في الأرض رجلًا غيري..



لماذا بعد كل ذلك يأخذك آخر؟ وآخذ أنا أخرى لمجرد أني لابد أن آخذ أخرى !!

أنا أؤمن أن حكمة الله حين أعجز عن فهمها، فذلك لقصوري البشري، لم يهتزُّ إيماني لحظة أن الخير فيما اختاره الله، ولكني بدأت أن أشكَّ أن هناك خيرًا ما في تعاستي، ووحدتي، وحزني، وموتي افتقادًا للحظة من لحظاتك...

حتى التديُّن، كنت تكتبين لي فروضي في ورقة، وتذكرينني بها في رقة، ولماذا أُدمن أنا المرأة التي تصنع الرجل بضعفها؟

أنا لست مدمّرًا، أنا أفهم كل ما أحتاج أن أفهمة، ولكني بائس... معك كنت أصلِّي أفضل، وأنام أفضل، وآكل أفضل، وأنتج في كل شيء أكثر...

الآن وكل شيء ينهار من حولي، وكل ما أحب، ومن أحب يتألَّم.. لا أحتاجك أن تقولي لي أن كل شيء سيكون على ما يرام... فقط أحتاجك أن تكوني موجودة.. فوجودك العفوي نفسه، وهالتك البشرية نفسها بها كل ما أحتاج ...



لمْ تغضبيني يومًا، ولم نتخاصم أبدًا.. فلماذا كل الأشياء الجميلة تموت؟!

أكره أن أقول «زمن حزين» ولكنني لاأراه إلا كذلك، زمن يضطهد العشق باسم الدين، ويضطهد الدين باسم التشدُّد، ويضطهد الرجل باسم المساواة، وينتهك المرأة باسم الحرِّيَّة... أكره أن أقول إني لم أخلق لهذا الزمن، ولكن من أنا كي أكون أفضل! اللعنة على كل شيء

ولأني كثير السفر

لم أعد أحكي قصة حبي إلا للناس الغريبة..

لم أعد آخذ في حقائب السفر وجوها حبيبة..

لا آخذ من كل حي إلا أصوات شوارعه الرتيبة..

وذكريات غامضة عند ظلم البارات الرطيبة..

لم أعد أمارس الحب إلا بطريقة الشرق الكئيبة!

ولأني كثير السفر..

لم أعد أهتمُّ للعيد، ولا أنتظر الأهلَّة..

كل عادات السعادة صارت مملَّة..

والذي يبقي الحنين الطفولي للفكرة..

حين كان النوم ينتظر عند الأسرَّة

نهرب الحين منه، ويواتينا بغفلة..

ولأني كثير السفر

كل أحلامي ماتت تحت عجلات الطرق

كل أحزاني عاشت كحريق الورق...

مثل لفائف تبغ أطفأتها بقلب محترق..

تحت رماد منفضة السجائر.. يحيا القلق..

ولأني كثير السفر...

صرت أدمن الغرامات التي تنتهي..

مثل عاهرة عند سن اليأس..

صرت أسكر بأية امرأة سهلة

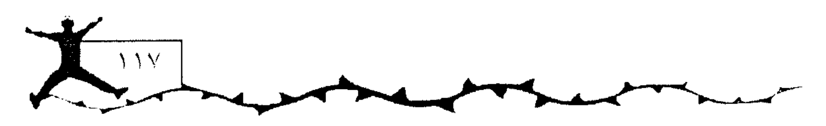
كي أنسى فيها امرأة الأمس..

ولأني كثير السفر

اكتسبت الجهال ضمن هواياتي الكثيرة..

قد أضيِّع عمرًا في قبلة امرأة خبيرة

أو أضيع عمرًا ببراءة طفلة صغيرة...



تستوي لدى كل التجارب المثيرة..

ولأني كثير السفر

أحتمي بالغربة كمظلة المطر

أحتمي بالكآبة في كل سهر

أحتمي بالليل من القمر

أحتمي من كل حب..ببطاقة سفر

ولأني كثير السفر..

أسأم الجرائد اليومية المكرَّرة..

أمقت النفاقات المدفوعة المصوَّرة

أزدري..أخبار الأسياد الكاذبة المكرَّرة

خلف نافذتي.. عين المخبر الغبي ساهرة

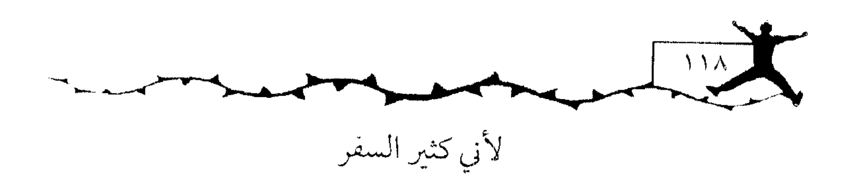
ولأني كثير السفر...

أشعر بالغثيان من خلق العبيد...

من تغاضي الناس المتواطئ البليد

من جيل يربي على الخضوع جيلًا جديد

يدعي أن كل الفضيلة في الجبن العتيد



لأني كثير السفر

أمسكت يديَّ عني غير مرة كي لا أنتحر...

وأمسكت قلبي عنها غير مرة كي لا ينكسر..

وأدمنت المهدئات، والسجائر كي أستمر..

أتمنى لو ألقى حياتي.. وأمزِّقها كتذاكر السفر

الفهرس